تصدر فى ندوة العلماء لـكهنؤ (الهند)

البعث الإسلامي

المجلد

الحادى عشر

العدد السابع

• ذو الحجة

سنة ١٣٨٦ هـ

ابريل

سنة ١٩٦٧ م

الحج و مناسكه

كانت حياة ابراهيم تحدياً للهادية السرفة الشائعة فى عصره و عبادة الأسباب و اتخاذها أرباباً من دون الله ومثالا للايمان بالله و قدرته المطلقة وبأن أرادته فوق كل شئ ، و هكذا كانت سنة الله معه يخضع له الأسباب ويخلق له ماتحار فيه الألباب ، و الحج و مناسكه و ما يحيط به من ذكريات و حوادث و ما يتابس به الحاج من التجرد عن المظاهر و ما يأتى به من عمل و نسك تخليد لما اختص به ابراهيم عليه السلام من توحيد و نفى الاسباب و التوكل على الله و التفانى فى سبيله .

أبو الحسن على الندوى

شعارنا

الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع

Phone 22948 Regd. No. L. 1692

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwatul Ulama, LUCKNOW. (India)

الشهاب

إسلامية . فكرية ، نصف شهرية

- تصدرها الجماعة الاسلامية فى لبنان .
- تمتاز بصحافة فكرية نظيفة ، وتحمل إلى القراء فى كل مكان.
- أنباء و آراء ، و أفكاراً علمية و أدبية .
- مقالات قوية دسمة تغذى العقل و الروح ، و تنور القلب و العاطفة .
- تجدر بتوزيع عام فى جميع الأقطار العربية و الاسلامية و تستحق أن تصل إلى يد كل شاب مسلم .

اشترا كاتها السنوى

عشر ليرات لبنانية عدا أجرة البريد

صاحب الامتياز : فتحى يكن

المدير المسؤل : فيصل مولوى

رئيس التحرير : ابراهيم المصرى

العنوان : ص ب ٥٢٦٦ بيروت (لبنان)

Printed by : S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW.

البعث الإسلامي

شهرية - إسلامية - جامعة

العنوان البعث الاسلامى ، دار العلوم لندوة العلماء
لكهنؤ (الهـــــــند)

الادارة ٢٩١٧٤ — ٢٢٩٤٨

NADWA, Lucknow.

الاشتراكات

الهند و باكستان : —
عشر روپيات ثمن العدد روپية واحدة .

العالم العربى : —
بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)
بالبريد الجوى) جنيهان و نصف (استرلينى)

أفريقيا الجنوبية و الشمالية : —
بالبريد العادى) جنيه واحد (استرلينى)
بالبريد الجوى) ثلاثة جنيهات ونصف (استرلينى)

مطلوب وكلاء و موزعون فى كل بلد إسلامى و و فى المهاجر ، و فى كل قطر - شرقياً كان أم غربياً - تعيش فيه الجالية الاسلامية .

● الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة فاران كيمبل استريث كراچى رقم ١ باكستان

● نرجو تزويدنا بآخر ما يقع من حوادث و أنباء إسلامية فى الوطن الاسلامى الكبير بأسرع ما يمكن مع وافر الشكر !

وكالات المجلة

- مكتبة المنار الكويت
- مكتبة الآداب الرياض السعودية
- مكتبة النور طرابلس الغرب ليبيا
- المكتبة الوطنية الزاوية ليبيا
- مكتبة الثقافة الدوحة قطر
- مدثر حسين الصديق الجامعة الاسلامية المدينة المنورة السعودية
- الأستاذ محمد الأمين دعاك كسلا السودان
- الأستاذ ابراهيم النعمة دار الكتب الموصل - العراق
- مكتبة الحضارة الاسلامية حلب - سوريا
- مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية

شهرية أدبية إسلامية
تنشر عشرة أعداد

البعث الإسلامي

العدد السابع — المجلد الحادى عشر

ذوالحجة ١٣٨٦ هـ — ابريل ١٩٦٧م

رئيس التحرير : محمد الحسني

مدير التحرير : سعيد الأعظمي

موجز الفهرست

— التوجيه الاسلامى ص ٩
— الدعوة الاسلامية ص ٣٣
— من مذكرات الدعوة ص ٥١
— دراسات و أبحاث ص ٦٠
— فى رياض الشعر و الأدب ص ٨٥
— الفقه الاسلامى ص ٧٥
— العـــالم الاسلامى ص ٩٤

(ندوة العلماء)

قامت ندوة العلماء على مبدء الجمع بين الدين الخالد الذى لايتغير و بين العلم النامى الذى لايتحجر، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة ، فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه ودراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر و حارس للامانة ، إذا هو فى تفهيمه و دعوته جندى مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، و بينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود ؟

محتويات العدد

الاسلام أوسع من «الاصطلاحات» — محمد الحسنى — ٣

من أسرار الحج — سماحة الأستاذ أبى الحسن على الندوى — ٨

التوجيه الاسلامى

الانحطاط فى الحياة الاسلامية — سماحة الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١١

الاسلام والحضارة الغربية — الدكتور محمد محمد حسين — ١٩

عوامل الصراع بين الاسلام والغرب — الأستاذ خورشيد أحمد — ٢٧

الدعوة الاسلامية

المنابع الفلسفية لمادية الغرب — الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة — ٣٤

التناسق الاسلامى بين مطالب الجسد و. — الأستاذ معين الدين أحمد الندوى — ٤٢

من مذكرات الدعوة

أسبوعان فى تركيا الاسلامية الحبيبة — سماحة الأستاذ أبى الحسن على الندوى — ٥٢

دراسات و أبحاث

مقومات النظرية السياسية فى الاسلام — الأستاذ محمد على ضناوى — ٦١

الربانية: أصل الدين وسمة المسلمين — فضيلة الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمى — ٦٦

الفقه الاسلامى

نظرة على تاريخ تدوين الفقه الاسلامى — الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى — ٧٦

فى رياض الشعر والأدب

سليمان عليه السلام فى القرآن — الأستاذ الشهيد سيد قطب — ٨٦

سلوا السوف و شدوا (شعر) — الأستاذ عبد العزيز عبد الفتاح — ٨٩

ردعلى دعاية خائن (شعر) — فضيلة الشيخ عبدالرحمن محمد الدوسرى — ٩١

العالم الاسلامى

رسالة المجلس الاستشارى عقب الانتخابات — إعداد: قلم التحرير — ٩٥

المسلمون فى الكاميرون . . . . — ٩٨

أخبار اجتماعية و ثقافية . . . . — ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام أوسع من «الاصطلاحات»

الاصطلاحات - فى كل مجتمع و فى كل بلد - لها جو خاص و طابع ممتاز ، هى وليدة تجارب يمر بها شعب أو مجتمع ، وعصارة أفكار و عقول ، و نزعات و ميول ، و تقاليد وعادات ومرافق ، فاذا أخذناها أخذناها برمتها و استوردناها مع أجوائها و ظلالها و تاريخها ، و سائر مقوماتها الداخلية و عواملها النفسية .

إن معظم هذه المصطلحات تدور حول الأدب والفلسفة والاقتصاد و السياسة ، و تعبر - دائماً - عن وضع خاص ، و تشير إلى منهج خاص فى هذه العلوم و الآداب ، و من هذه المصطلحات المشهورة التى استوردناها ، الديمقراطية ، و الرأسمالية ، و الشيوعية ، و الاشتراكية ، و الثيوقراطية إلخ .

فما كان الداعى إلى قبول هذه الاصطلاحات ؟

إننا رأينا فى هذه المصطلحات بعض ما يلائمنا أو يعجبنا ، أو يتفق - فى خط من الخطوط - مع أهدافنا ، فأحببنا أن نستعين بها فى تعريف الاسلام وعرضه على الجيل المثقف الجديد ، الذى افتتن بهذه المصطلحات و آمن بها كايمانه بالله و رسوله .

و كان المجال الأول و المجال القريب هو الحكم الاسلامى ، الذى صار موضع النقاش و الجدال منذ أعوام طوال ، و قد ظهرت هذه

المحاولات فى العالم الاسلامى - خاصة فى مصر و باكستان - فى صورة مؤلفات و دراسات تنظر إلى الحكم الاسلامى بهذا المنظار الغربى الجديد، - منظار الاصطلاحات المحدود - فاذا رأوا فيه حرية شخصية قالوا إنه ديمقراطى و رأسمالى ، و إذا رأوا فيه مساواة قالوا إنه إشتراكى، و إذا رأوا فيه خليفة يأمر و ينهى ، قالوا إنه دكتاتورى ، و إذا رأوا فيه أحكاما إلهية لا دخل فيها للبشر قالوا إنه ثيوقراطى ، و إذا رأوا فيه بيعة عامة وخليفة كأبى بكر - رضى الله عنه - يقول فى أول خطبته حين بايعه الناس « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم » قالوا إنه شعبى ، الحكم الأخير فيه للشعب !

فما هى طبيعة الحكم الاسلامى و منهاجه الأصيل ، المبتكر ، المجرد عن الملابسات و المصطلحات و الشكليات ؟ أليس للاسلام فكرة مستقلة خاصة ، و نظام متكامل ، متكافل ، متناسق ، غنى عن الأخذ و الاقتباس و الاستيراد ؟ أليس له دعوة و منهاج و حكم ؟ ثم أليس له مصطلحات و أسماء و شعائر أو شارات نعرفه بها ثم ندعو الناس إليه ؟

بلى ؟ إنه كذلك !

و لننظر الآن ما يستقل به الحكم الاسلامى ، أو ما يتميز به دون غيره من المناهج السياسية و الاقتصادية المعروفة ، و كيف يسمو عليها بنظامه الربانى العميق الدقيق ، و ما هو الفارق بين المصطلحات الجاهلية، و المصطلحات الاسلامية ، و هل تسعه المصطلحات أم لا ؟

الاسلام دين كامل أتم الله به نعمته على البشر فقال « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » فهو (إذاً)

نظام ربانى أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ ، و أتمه فى ثلاث و عشرين سنة ، و لم يدعه عرضة للاوضاع المتغيرة ، و الملابسات الخارجية و المشكلات المتجددة ، و العصر المتطور ، شأن المذاهب السياسية الأخرى التى لا تزال فى دور التجربة والتكوين والبناء . فجاء شاملا لسائر النواحى و الوجهات بل الدقائق و الخلجات التى لا تدركها الأبصار، و لا يترقى إليها عقل البشرية القاصر المحدود .

« ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير »

« أفحكم الجاهلية يبغون و له أسلم من فى السماوات والأرض طوعا و كرهاً و إليه يرجعون »

« هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض و إذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »

و الآيات فى هذا الباب كثيرة معلومة .

هذه هى المبادىء الأولية للحكم الاسلامى و أبعاده ، وسوف نتقدم الآن ببعض التفصيل ، و لنتذكر - و نحن فى بداية السفر - تلك الحقيقة الكبرى ، أن الاسلام دين سماوى منزل من الله ، و أنه دين كامل لا يؤذيه التطور ، ولا تنال منه الأحداث ، أما المذاهب الأخرى - و المذهب أيضاً إصطلاح لا يعبر عن النظام الاسلامى مطلقاً - ناقصة ، محدودة لا تزال فى دور التجربة او فى دور الطفولة ، انتهت بها فى سيرها أو بحثها عن الحق على بعض محاسن أو وجوه من الحق و الجمال ، والبر و المعروف ، فحسبتها نهاية المطاف و آخر الشوط ، و ظنت أنها ظفرت بالغاية المنشودة ، و سمتها باسم خاص ، و وضعت لها مصطلحات ، مع

أنها كانت جانباً ضئيلا لا يصح الوقوف عنده أو التمسك به ، ولا يصح اعتباره ، كاملا ، يتوقف عليه مستقبل البشرية إذا قيس بالجوانب الضخمة الأخرى ، التى لا تكتمل بدونها الصورة ، و لا يستقر بغيرها الوضع .

و نقدم الآن بعض جوانب الحكم الاسلامى على سبيل المثال

« و أمرهم شورى بينهم »

« و شاورهم فى الأمر »

« و فى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » (١)

إنها ناحية مهمة من نواحى الحكم الاسلامى حسبوها ديمقراطية ، يخضع فيها الرئيس لرأى الأكثرية و لو كان هذا الرأى غير صالح أو غير نافع ، و هو تجن على الاسلام و دليل على سوء فهمه .

ويأتى مبدأ « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

و هو جانب خطير أيضاً ، فقد نهى الجمهور عن معارضة الخليفة ، و الأمير و الحاكم « ما أقاموا فيكم الصلاة » و نهى عن الخروج عليهم « ما لم يظهروا كفراً بواحاً » وهذا إقرار لقيمة الحكم الاسلامى وأهميته ، و سموه على الخلافات الصغيرة ، و فيه تدعيم لأركانه و تشييد لبنيانه ، و هنالك تلتقى الصورة أحياناً ببعض صور الحكم فى التاريخ القديم و الحديث ، ولكنها لاتمتزج فيها أبداً ، و قد تجلى ذلك واضحاً صريحاً فى موقف عمر رضى الله عنه حين قال :

« أصابت امرأة و أخطأ عمر »

(1) زاد المعاد ج 2 ص 64

إنه وضعت له حدود و معالم و إطار واضح و هو « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وروى الشيخان « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أوكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة » إنه ليس الحكم المطلق و لا الطاعة الدائمة ، بل شتى بين هذا و ذاك ، أقرب إلى الفطرة ، و أقرب إلى روح الاسلام ، و أما أمر البيعة فهو أشبه بنظام الانتخاب والتصويت فى العصر الحديث و لكنه يفترق عنه كما افترق أولا فى سائر المبادىء و الوجهات فى عد الأصوات . بل إنه بيعة عامة يستقل بها الخليفة وأمير المسلمين ، ثم يدير دفة الأمور بمشورة من أصحابه !

هذا هو الاطار العام الوجيز السريع للحكم الاسلامى ، و هو نظام مستقل بطبيعة الحال ، غنى عن الاصطلاحات ، بعيد عن الشكليات ، بل إن الاصطلاحات تجنى عليه و تحول بينه وبين فهمه على حقيقته ، ونمطه فى الشؤن الاقتصادية مثل نمطه فى الشؤن السياسية .

و موقفه نحو السلطة الشخصية ، و فى مسئلة الأحزاب السياسية . و الانتخابات العامة ، و فى الاقطاع ، و فى الملكية الفردية ، و فى التاميم وعلاقات العمال و رجال الأموال ، و فى المساواة الطوعية والاجبارية ، و نحو ذلك من المشكلات الفنية موقف مستقل بذاته ، ذو طابع خاص و سمات واضحة مشرقة ، و حدود معلومة و نمط معروف ، لا تستطيع هذه المصطلحات السياسية (التى حملها إلينا الغرب) أن تعبر عنه بدقة ، أو تصوره تصويراً صحيحاً

إنها لا تقدم إلا صورة مشوهة ، محدودة ، شاحبة لهذه النواحى الهامة ، و لا تستطيع أن تدرك غايتها أو تمس مستواها ، وتفهم روحها

و أسلوبها و منهاجها المستقل الأصيل ، المتفرد ، المبتكر .

إن جوانب الحكم الاسلامى أعلى من أن نعبر عنها بهذه الاصطلاحات المكدودة المحدودة ، فلنرجع إلى المآخذ الأولى و الشعائر الأولى ، أو نضع عنها اصطلاحات إسلامية خاصة ليس لها صلة بالغرب و نفسيته ، نقية من شوائبه و علائقه ، و أكداره ؟

محمد الحسنى

من أسرار الحج

و ليس منى و المزدلفة و عرفات إلا مقامات تجلت فيها الاطاعة و الحب فى أورع مظاهرها ، و تلبست بذكريات ابراهيم و اسماعيل و الأنبياء بعدهما ، و العشاق المتيمين من أممهم ، و بذكريات محمد ﷺ و أصحابه و الصادقين من أمته ، و امتزجت بايمانهم و حنانهم و دموعهم ، فمثلت الحب و الاطاعة و الامتثال للاوامر ، فالحاج يتقلب بين هذه المقامات يقيم و يرحل ، و يمكث و ينتقل و يخيم و يقلع ، إنما هو طوع اشارة و رهين أمر ، ليست له ارادة و لا حكم ، و ليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال إلى عرفات من غير أن يقف بالمزدلفة و يقف بعرفات ويظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء والعبادة ، و تحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب يستجم و يستريح فلا يسمح له بذلك و يؤمر بالانتقال إلى المزدلفة ويقضى حياته محافظاً على الصلوات فى وقتها و يؤمر بترك صلاة المغرب لأنه عبد لربه ليس عبداً لصلاته و عاداته ، فلا يصليها إلا بالمزدلفة جمعاً مع العشاء ، و تطيب له الاقامة فى المزدلفة فيريد أن يطيلها فلا يسمح له بذلك و يؤمر بالانتقال إلى منى .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

- معالم فى الطريق .
- و أضواء على الشعارات الزائفة .
- و تصوير للموقف الاسلامى الصحيح .
- و دعوة إلى منبع الاسلام الصافى النقى .
- خطوط عريضة للفكر الاسلامى الثائر الذى لايقبل المساومة و البيع و الاستسلام ولاينسجم مع الغرب المادى أيما انسجام .

التوجيه الإسلامي

بقلم

الانحطاط فى الحياة الاسلامية

سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

قال أحد الأدباء : « أمران لا يحدد لهما وقت بدقـة ، النوم فى حياة الفرد ، و الانحطاط فى حياة الأمـة ، فلا يشعر بهما إلا إذا غلبا واستوليا ، إنه لحق فى قضية أكثر الأمم ، ولكن بدأ التدلى والانحطاط فى حياة الأمة الاسلامية أوضح منه فى حياة الأمم الأخرى ، و لوأردنا أن نضع أصبعنا على الحد الفاصل بين الكمال و الزوال لوضعنا على ذلك الخط التاريخى الذى يفصل بين الخلافة الراشدة و الملوكية العربيـة أو ملوكية المسلمين .

نظرة فى أسباب نهضة الاسلام :

كان زمام القيادة الاسلامية ـ و العالمية بالواسطة ـ بيد الرجال الذين كان كل فرد منهم معجزة جليلة لمحمد ﷺ ، إيماناً وعقيدة وعملا وخلقاً ، وتربية وتهذيباً ، و تزكية نفس و سمو سيرة ، و كمالا واعتدالا ، لقد صاغهم النبى ﷺ صوغا ، صبهم فى قالب الاسـلام صباً ، فعادوا لا يشبهون أنفسهم إلا فى الأجسـام لا فى الميول و النزعات ، و لا فى الرغبات و الأهواء ، و لو دقق مدقق لمـا رأى فى سيرتهم و أخلاقهم مأخذاً جاهلياً ينافى روح الاسلام و النفسـية الاسلامـية ، و لو تمثل

الاسلام بشراً لما زاد على أن يكون كأحدهم ، و كانوا كما قلنا أمثلة كاملة و أقيسة تامة للدين و الدنيا و الجمع بينهما ، فكانوا أئمة يصلون بالناس ، وقضاة يفصلون قضاياهم ، ويحكمون بينهم بالعدل و العلم ، وأمنة لأموال المسلمين و خزنتهم ، و قوادا يقودون الجيوش ويحسنون تدبير الحروب، و أمراء يباشرون إدارة البلاد و يشرفون على أمور المملكة و يقيمون حدود الله .

وكان الواحد منهم فى آن واحد نقياً زاهداً و بطلا مجاهداً و قاضياً فهما ، وفقيهاً مجتهداً و أميراً حازما و سياسياً محنكا ، فكان الدين و السياسة يتمثلان فى شخص واحد ، و هو شخص الخليفة و أمير المؤمنين ، حوله جماعة ممن تخرجوا ـ إن صح التعبير ـ فى هذه المدرسة، المدرسة النبوية ، أم المسجد النبوى ، أفرغوا فى قالب واحد يحملون روحا واحدة ، و تلقوا تربية واحدة ، يستشيرهم الخليفة و يستعين بهم، فلا يقطع أمراً ذا بال حتى يشهدوه ، فسرت روحهم فى المدنية و نظام الحكم و حياة الناس واجتماعهم و أخلاقهم ، وانعكست ميولهم ورغباتهم فى المدنية ، وظهرت خصائصهم فيها ، فلا عداء بين الروح و المادة و لا صراع بين الدين والسياسة ، و لا تفريق بين الدين و الدنيا ، ولاتجاذب بين المصالح و المبادىء ، و لا تزاحم بين الأغراض و الأخلاق ، و لا تناحر بين الطبقات ، و لا تنافس فى الشهوات .

شروط الزعامة الاسلامية !

إن الزعامة الاسلامية تقتضى صفات دقيقة ، واسعة جداً، نستطيع أن نجمعها فى كلمتين « الجهاد » و « الاجتهاد » فهاتان كلمتان خفيفتان

بسيطان ، و لكنهما كلمتان جامعتان عامرتان بالمعانى الكثيرة .

الجهاد :

أما الجهاد فهو بذل الوسع و غاية الجهد لنيل أكبر مطلوب ، و أكبر وطر للمسلم طاعة الله ورضوانه والخضوع لحكمه والاسلام لأوامره، و ذلك يحتاج إلى جهاد طويل شاق ضد كل ما يزاحم ذلك من عقيدة و تربية و أخلاق و أغراض و هوى ، و كل من ينافس فى حكم الله وعبادته من آلهة فى الأنفس و الآفاق ، فاذا حصل ذلك للمسلم وجب عليه أن يجاهد لتنفيذ حكم الله و أوامره فى العالم حوله و على بنى جنسه فريضة من الله و شفقة على الله ، و لأن الطاعة الانفرادية قد تصعب و تمتنع أحياناً بغير ذلك ، و ذلك ما يسميه القرآن « الفتنة »

و معلوم أن العالم كله بما فيه من جماد و نبات و حيوان و إنسان خاضع لمشيئة الله و أحكامه التكوينية و قوانينه الطبيعية (و له أسلم من فى السماوات و الأرض طوعا و كرهاً وإليه يرجعون) (ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب) فيتعين أن جهاد المسلم إنما هو لتنفيذ شريعته التى جاء بها الأنبياء ، وإعلاء كلمته و نفاذ أحكامه ، فلا حكم إلا الله و لا أمر إلاله ، و هذا الجهاد مستمر ماض إلى يوم القيامة ، وله أنواع و أشكال لا يأتى عليها الحصر منها القتال ، و قد يكون أشرف أنواعه ، و غايته أن لا تبقى فى الدنيا قوتان متساويتان متنافستان تتجاذبان الأهواء و الأنفس (و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله) .

و من مقتضيات هذا الجهاد أن يكون الانسان عارفا بالاسلام الذى يجاهد لأجله وبالكفر والجاهلية التى يجاهد ضدها ، يعرف الاسلام معرفة صحيحة و يعرف الكفر والجاهلية معرفة دقيقة ، فلا تخدعه المظاهر و لا تغره الألوان ، و قد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنما ينقض الاسلام عروة عروة من نشأ فى الاسلام و لم يعرف الجاهلية ، و لا يجب على كل مسلم أن تكون معرفته دقيقة بالكفر و الجاهلية و و مظاهرهما و أشكالهما و ألوانهما ، و لكن على من يتزعم الاسلام و يتولى قيادة الجيش الاسلامى ضد الكفر والجاهلية ، أن تكون معرفته بالكفر و الجاهلية فوق معرفة عامة المسلمين و أوساطهم .

كذلك يجب أن يكون استعدادهم كاملا و قوتهم تامة ، يقرعون الحديد بالحديد بل بأقوى من الحديد ، و يقابلون الريح بالاعصار ، و يواجهون الكفر و أهله بكل ما يقدرون عليه ، و بكل ما امتدت إليه يدهم ، و بكل ما اكتشفه الانسان و وصل إليه العلم فى ذلك العصر ، من سلاح و جهاز و استعداد حربى ، لا يقصرون فى ذلك ولا يعجزون « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم » .

الاجتهاد :

أما الاجتهاد فنريد به أن يكون من يرأس المسلمين قادراً على القضاء الصحيح فى النوازل و الحوادث التى تعرض فى حياة المسلمين و فى العالم و فى الأمم التى يحكمها ، و فى المسائل التى تفاجئ و تتجدد ، والتى لا يستقصيها فقه مدون و مذهب مأثور و فتاوى مؤلفة ، و يكون عنده

من معرفة روح الاسلام و فهم أسرار الشريعة و الاطلاع على أصول التشريع الاسلامى و قوة الاستنباط - انفراداً أو اجتماعا - ما يحل به هذه المشاكل و يرشد الأمة فى النعمة .

و يكون عنده من الذكاء و النشاط و الجد و العلم ما يستخدم به ما خلق الله فى هذا الكون من قوى طبيعية ، و ما بث فى الأرض و تحت الأرض من خيرات و منابع ثروة و قوة ، و أن يسخرها لمصلحة الاسلام بدل أن يستخدمها أهل الباطل لأهوائهم ، و يتخذوها وسيلة فى الأرض ، و يسخرها الشيطان لتحقيق أغراضه والافساد فى الأرض .

انتقال الامامة من الأكفاء إلى غير الأكفاء :

و لكن من الأسف و من سوء حظ العالم البشرى أن تولى هذا المنصب الخطير رجال لم يكونوا له أكفاء ، و لم يعدوا له عدة ، و لم يأخذوا له أهبة ، و لم يتلقوا تربية دينية و خلقية كما تلقى الأولون و كثيرون فى عصرهم و جيلهم ، و لم يسيغوا تعاليم الاسلام إساغة تليق بقيادة الأمة الاسلامية و الاضطلاع بزعامتها ، و لم تنق رؤسهم و لا نفوسهم من بقايا التربية القديمة ، و لم يكن عندهم من روح الجهاد فى سبيل الاسلام و من قوة الاجتهاد فى المسائل الدينية و الدنيوية ما يجعلهم يضطلعون بأعباء الخلافة الاسلامية ، و هذا الحكم عام يشمل خلفاء بنى أمية و بنى العباس ، حاشا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (م ١٠١)

تحريفات الحياة الأسلامية :

فظهر من ذلك ثلمات فى ردم الاسلام لم تسد إلى الآن ، ووقعت تحريفات فى الحياة الاسلامية .

فصل الدين عن السياسة :

وقع فصل بين الدين و السياسة عملياً ، فان هولاء لم يكونوا من العلم والدين بمكان يستغنون به عن غيرهم من العلماء وأهل الدين فاستبدوا بالحكم و السياسة ، و استعانوا - إذا أرادوا و اقتضت المصالح - بالفقهاء و رجال الدين كمشيرين متخصصين ، و استخدموهم فى مصالحهم و استغنوا عنهم إذا شاؤا ، و عصروهم حتى شاؤا ، فتحررت السياسة من رقابة الدين . و أصبحت قيصرية أو كسروية مستبدة ، و ملكا عضوضاً ، و أصبحت السياسة كجمل هائج حبله على غاربه ، و أصبح رجال الدين و العلم بين معارض للخلافة و خارج عليها ، و حائد منعزل اشتغل بخاصة نفسه ، و اغمض العين عما يقع و يجرى حوله ، يأساً من الاصلاح ، و منتقد يتلهف و يتنفس الصعداء مما يرى و يسمع و لا يملك من الأمر شيئاً ، و متعاون مع الحكومة لمصلحة دينية أو شخصية و لكل ما نوى ، وحينئذ انفصل الدين والسياسة ، وعادا كما كانا قبل عهد الخلافة الراشدة، أصبح الدين مقصوص الجناح مكتوف الأيدى ، وأصبحت السياسة مطلقة اليد حرة التصرف نافذة الكلمة صاحبة الأمر و النهى ، و من ثم أصبح رجال العلم و الدين طبقة متميزة ، و رجال الدنيا طبقة متميزة ، والشقة بينهما شاسعة ، و فى بعض الأحيان بينهما عداء و تنافس .

النزعات الجاهلية فى رجال الحكومة :

ولم يكن رجال الحكومة حتى الخلفاء أمثلة كاملة فى الدين والأخلاق بل كان فى كثير منهم عروق للجاهلية و نزعاتها ، فسرت روحهم و نفسيتهم فى الحياة العامة و الاجتماع ، و أصبحوا أسوة للناس فى أخلاقهم و

عوائدهم و ميولهم ، و زالت رقابة الدين و الأخلاق و ارتفعت الحسبة ، و فقدت حركة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر سلطانها ، لأنها لا تستند إلى قوة و لا تحميها حكومة ، و إنما يقوم بها متطوعون لا قوة لديهم ولاعقاب ، و الدواعى إلى خلافها متوافرة قوية ، فتنفست الجاهلية فى بلاد الاسلام و رفعت رأسها ، و أخلد الناس إلى الترف و النعيم و إلى الملاهى و الملاعب ، و انغمسوا فى الملذات و الشهوات واستهتروا استهتاراً ، و نظرة فى كتاب الأغانى و كتاب الحيوان للجاحظ تريك ما كان هنالك من رغبة جامحة إلى اللهو، و تهافت على الملاهى والملذات، و نهمة للحياة الدنيا وأسبابها ، و بهذه السيرة ، و بهذه الأخلاق المنحطة و مع هذا الانهماك فى الملاهى لا تستطيع أمة أن تؤدى رسالة الاسلام و أن تقوم فى الدنيا مقام خلفاء الأنبياء ، و تذكر بالله والآخرة وتحض على التقوى و الدين ، و أن تكون أسوة للناس فى أخلاقها ، بل لا تستطيع أن تتمتع بالحياة و الحرية زمناً طويلا : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا »

سوء تمثيلهم للاسلام :

و كان هولاء فى كل ما يأتون و يذرون ممثلين لأنفسهم و سياستهم فقط ، لا يمثلون الاسلام ، و لا سياسته الشرعية ، لا قانونه الحربى ، ولا نظامه المدنى ، و لاتعاليمه الأخلاقية إلا فى النادر ، ففقدت رسالة الاسلام تأثيرها و قوتها فى قلوب غير المسلمين ، و ضعفت ثقتهم به ، و فى لفظ مؤرخ عربى ، بدأ الاسلام بالانحطاط ، لأن البشرية بدأت تشك فى صدق القائمين بتمثيل الديانة الجديدة .

قلة الاحتفال بالعلوم العملية المفيدة :

إن العلماء المفكرين منهم لم يعتنوا بالعلوم الطبيعية التجريبية وبالعلوم العملية المثمرة المفيدة اعتناءهم بعلوم ما بعد الطبيعة و الفلسفة الالهية التى تلقوها من اليونان ، و ما هى إلا وثنيتهم القومية التى ترجموها فى لغتهم الفلسفية ، و أضفوا عليها لباساً من الفن ، و ما هى إلا ظنون وتخمينات و طلاسم لفظية لا حقيقة لها و لا معنى ، و قد أغنى الله المسلمين عنها و كفاهم هذا البحث و التنقيب ، و عملية تجزئة و تحليل فى مسائل ذات الله و صفاته و ما يتعلق بها أشبه بالتحليل الكيمياوى بما أنزل إليهم بينات من الهدى والفرقان ، و جعلهم على نور من ربهم ، و لكن المسلمين لم يشكروا هذه النعمة العظيمة ، و ظلوا قروناً طويلة يجاهدون من هذه العلوم و المباحث فى غير جهاد ، و يضيعون ذكاؤهم فى مباحث فلسفية و كلامية لا تجدى نفعاً و لا تأتى بنتيجة ، و ليس لها دعوة فى الدنيا و الآخرة ، و تشاغلوا بها عن علوم و اختيارات تسخر لهم قوى الطبيعة و يسخرونها لمصلحة الاسلام ، و يبسطون بها سيطرة الاسلام المادية و الروحية على العالم كله .

و كذلك اشتغلوا بمباحث الروح و فلسفة الاشراق ومسائل وحدة الوجود ، و بذلوا فيها قسطاً كبيراً من أوقاتهم و جهودهم و ذكائهم .

أما ما وصل إليه المسلمون فى العلوم الطبيعية و التجريبية ، فانه و إن كان أرقى من العصور السابقة و أكثر ثروة فى العلم و الاختبار ، إلا أنه لايتناسب مع فتوحهم الواسعة فى دوائر علمية أخرى ولا يتلاءم مع المدة الطويلة التى تمتعوا بها فى التاريخ ، و لم يظهر فيها من النوابغ

و العبقريين مثل ما ظهر فى موضوعات أخرى .

و إن ما خلفوه من كتب فى الطبيعيات و الكونيات و التجارب العلمية ، و إن كانت مما استفادت به أوربا فى نهضتها و أقرت بقيمتها ، إلا أنها تضاءل جداً أمام هذه المكتبة الهائلة الزاخرة التى أنتجتها أوربا فى القرنين السابع عشر و الثامن عشر فقط ، فهما افتخرنا بآثار علماء الأندلس و حكماء الشرق ، فانها لاتعد شيئاً بجانب الانتاج الغربى الضخم فى العلم و الحكمة و التجربة و الاختيار ، لا فى الكمية و لا فى الكيفية و لا فى الابداع و لا فى الابتكار ، و لا فى التدقيق العلمى و لا فى الاتقان الفنى ، و إذا أردت أن تعرف مقدار عناية الشرق الاسلامى بالناحية الروحية و نسبتها إلى الناحية العلمية و الجربية فقارن بين كتاب الفتوحات المكية للشيخ بن عربى مثلا و بين أكبر كتاب فى الطبيعيات و الحكمة ، تر فرقاً هائلا فى ضخامة المادة و العناية بالموضوع و الجهاد فى سبيله ، و بذلك تعرف ذوق الشرق الغالب عليه .

الاسلام و الحضارة الغربية

الدكتور محمد محمد حسين
استاذ الأدب العربى بجامعة الاسكندرية

لم ينته القرن التاسع عشر إلا و قد عظم شأن الاستعمار الغربى و استفحل ، و سقطت أكثر الدول الاسلامية تحت سيطرته أو نفوذه ، فاحتل الهولنديون اندونيسيا ، و احتلت انجلترا الهند و مصر ، و مناطق إسلامية أخرى متفرقة ، و احتلت روسيا المناطق الاسلامية فى أواسط آسيا ، و احتلت فرنسا شمال أفريقية ، باستثناء ليبيا التى كان احتلالها على يد الايطاليين بعد ذلك بسنوات قليلة عام ١٩١٢م .

و بالجملة أصبح العالم الاسلامى فى قبضة الغرب ، فيما عدا تركيا و ايران ، و هاتان إن كانتان مستقلتين فلم تكن إحداهما مطلقة اليد تتصرف كيف تشاء ، و بذلك دخلت صلات الاسلام والمسلمين بالحضارة الغربية فى طور جديد ، أصبح فيه تأثير هذه الحضارة الغازية أكثر قوة وفعالية لأنها انتقلت مع الجاليات الأجنبية التى استقرت فى بلاد المسلمين ، و أصبحت تحيا بين ظهرانيهم و تعيش فى قلب بلادهم ، و تقدم نموذجا حيا لأنماطها الفكرية و الاجتماعية ، يسرى من طريق المشاهدة و التقليد ، و فرضت الدول الغربية الغازية لغاتها و ثقافاتها فى البلاد التى احتلتها ، تيسيراً على الغرب المستعمر فى التعامل من ناحية ، و تمهيداً لمحو طابع

المستعمرات و امتصاصها من ناحية أخرى .

و مضت سياسة إرسال المبعوثين من هذه البلاد فى طريقها ، و لكنها لم تعد حرة فى توجيهها ، فقد أصبح العدد الأكبر منها يوجه نحو الدولة المتسلطة ، و أصبح أكثرها يوجه توجيهاً أدبياً أو فلسفياً تربويا ، بعد أن صارت المجالات الصناعية و الخبرات الفنية وقفاً على المستعمرين الأوربيين ، الذين حولوا المستعمرات و أهلها إلى مزارع و مناجم وعمال لانتاج المواد الأولية، و أصبح التعليم فى داخل هذه البلاد يجرى على تخطيط غربى رسمه الاستعمار و أشرف على تنفيذه بنفسه أو بأيدى صنائعه ، و بذلك ظهر فى معجم السياسة و الحضارة ما يسميه سياسة الغربيين ومفكروهم بال Westernization و ما يمكن أن نسميه بالتغريب ، أى المستعمرات الآسيوية و الأفريقية بطابع الحضارة الغربية ، و جهود الاستعمار فى هذا تشمل المسلمين و غير المسلمين من أهل هذه المستعمرات .

لم يكن هدف الاستعمار من نشر حضارته هو تمدين البلاد التى استعمرها كما كان يتشدق به و يزعمه ، و لكنه كان يقصد بذلك ازالة الحواجز التى تقوم بينه و بين هذه الشعوب ، و هى حواجز تهدد مصالحه الاقتصادية ، و تجعل مهمة حراستها و المحافظة عليها صعبة غير مأمونة العواقب .كانت هذه الحواجز الناشئة عن الاختلاف فى الدين و فى اللغة و فى التقاليد و العادات سبباً فى احساس الوطنيين بالنفور من الأجنبى المحتل ، و فى احساس المستعمر بالغربة بل الشعور بالخطر الذى يحيط به و يتهدده فى بعض الأحيان .

و كان هذا الاحساس بالغربة و بالخطر أعظم ما يكون حين يتعامل المستعمر الغربى مع المسلمين، ذلك لأن الاسلام لم يكن مجموعة من الطقوس الدينية و حسب كما هو الشأن فى غيره من الأديان ، و لكنه كان حضارة كاملة لها لغتها التى لا يصح التعبد بغيرها ، و لها قيمها و قوانينها التى تمتد و تتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد و الجماعات فى سلوكهم و فى معاملاتهم ونشاطهم الفكرى والعاطفى على السواء. فلم يمض على ظهور الاسلام قرن حتى كانت النظم الاسلامية حضارة كاملة يحملها الاسلام معه حيثما ذهب ليس فيها ثغرة أو فجوة

و قد كان هذا هو السبب فى وحدة الحضارة الاسلامية و قوة الرابطة التى تجمع أفرادها على هذه الحضارة التى تذيب ما بينهم من فوارق الجنس و اللغة و المكان ، بل تذيب الفوارق الناشئة عن اختلاف الزمان لتضم هذه الأمة فى وحدة كونية ترد آخرها إلى أولها و تجمع حاضرها و ماضيها ، بسبب ثبات القيم الاسلامية و قدرتها على الاستجابة لحاجات الحياة فى تقلباتها و تطوراتها ، و بسبب ثبات لغة هذا الدين و مرونتها التى مكنت للمسلم المعاصر أن يقرأ القرآن و أن يقرأ ما كتبه فقهاء المسلمين و أدباؤهم و شعراؤهم و فلاسفتهم و علماؤهم على امتداد تاريخهم الطويل ، دون أن يحس الغربة أو تصده صعوبة فى التعبير ، أو تغير فى الذ ق الفنى و اللغوى ، فكأنما أنزل القرآن اليوم ، و كأنما بعث شعراء الماضى الغابر و أدباؤه وعلماؤه فهم يخاطبون هذا الجيل بما كتبوه و ما أنشؤه .

ونشأ عن ذلك كله هذه الرابطة الاسلامية القوية التى حار الغربيون

فى تعليلها ، وكلت حيلهم و قصرت وسائلهم عن تفنيدها ، فهى وحدة لا وجود لها فى غير الاسلام من الأديان. تدعو تركيا إلى إنشاء سكة حديد الحجاز قبل الحرب العالمية الأولى ، فتنهال التبرعات المالية من شتى بلاد المسلمين من اندونيسيا إلى مراكش ، ويفرض الغربيون على تركيا شروطاً ظالمة بعد الحرب العالمية الأولى فيثور المسلمون فى الهند ثورة عنيفة تفزع الانجليز « راجع تصوير السيرثيودرو موريسون لهـذه الثورة فى كتاب (حاضر العالم الاسلامى) ١ : ١٦٢ »

و يموت الزعيم الهندى المسلم مولانا محمد على فى لندن أثناء دفاعه عن الاسلام فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فيدفن فى القدس الشريف حسب وصيتـه ، و تتوالى الأنباء بمحاولات فرنسا السافرة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية للقضاء على الاسلام. وعلى اللغة العربية ، و تشجيع القومية البربرية فى مراكش فتهتز لذلك بلاد العرب و المسلمين و تزداد جرائم أيطاليا الوحشية فى ليبيا فينهال المتطوعون من شتى بلاد المسلمين للمشاركة فى الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، و يستشهد عمر المختار فى هذا الجهاد فيرثيه كل شعراء العرب و يبكيه كل المسلمين فى اندونيسيا والهند ، ويزداد خطر اليهود فى فلسطين فيشغل الرأى الاسـلامى العام بذلك و يتطوع للدفاع عنها مسلمون من شتى البلاد ثم تقاطع الحكومات الاسلامية الدولة الدخيلة المغتصبة من بعد .

و زاد فى قوة هذه الرابطة نشاط الدعوة إلى الجامعة الاسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، و هى دعوة صادفت استجابة قوية عند كل المسلمين و دعمها الشعور بالخطر المشترك أمام الزحف السياسى

و الاقتصادى الذى يهدد المسلمين بالفناء ، فتزايد عدد الصحف التى تدعو إلى الجامعة الاسلامية تزايداً ظاهراً ، كان عددها فى سنة ١٩٠٠ لايزيد عن مائتى صحيفة ، فبلغ عددها سنة ١٩٠٦ خمسمائة صحيفة ، ثم زاد فى سنة ١٩١٤ على الألف صحيفة حسب احصاء « لوثروب ستودارد » فى كتاب « حاضر العالم الاسلامى »

لذلك كله كان شعور المستعمر الأوربى بالغربة و الخطر أقوى ما يكون حين يواجه هذه الأمة الاسلامية فى مختلف بلادها ، ولذلك كانت برامج التغريب موجـهة إلى الاسلام و المسلمين بنوع خاص ، و كثرت الكتب و المؤتمرات التى تبحث فى تاريخ الاسـلام و المسلمين ، و فى مشاكلهم المعاصرة و تطورهم الفكرى و الحضارى .

و كان يزيد فى هذا الشعور بالغربة و بالخطر أن تاريخ الاسلام والغرب حافل بالصراع منذ ظهور الاسلام ، و أن الصلة بينهما كانت صلة جهاد و عداوة دائماً توسع الاسلام على حساب الامبراطورية البيزنطية فى الشام و فى آسيا الصغرى ، و ظلت الحروب قائمـة بينهما على امتداد التاريخ حتى بلغت قمتها فى الحروب الصليبية ، ثم بلغ مد الاسلام غايته حين احتل العثمانيون عاصمة البيزنطية ، ومقر كنيستهم سنة ١٤٥٣ وغيروا اسمها إلى اسلامبول أى (دار الاسلام) و اتخذوها عاصمة لامبراطوريتهم التى توغلت فى أوربا وكادت تكتسحها حين هددت فيا سنة ١٥٢٩ . وظل هذا التهديد قائماً حتى ١٦٨٣ و دار الصراع بين الاسلام و أوربا منذ القرن الأول الهجرى على الأرض الأوربية من طرفها الغربى حين سقطت الاندلس فى أيدى المسلمين ، وأصبحت من بعد قصراً لخلافة أموية

ولحضارة مزدهرة لاتزال آثارها الباقية تشهد بأمجادها ، ثم كانت المذابح الوحشية التى تولت فيها محاكم التفتيش المسيحية إبادة المسلمين عقب هزيمتهم فى الأندلس .

والأوربى بعد ذلك لايعرف عن المسلمين إلا ما قرأه من الأكاذيب التى تشوه صورتهم فى أذهان المسيحيين، و التى تشيع فى كل ما كتبه الغربيون عنهم منذ الحروب الصليبية ، و التى لم تخف حدتها إلا فى نصف القرن الأخير، حين لاحظ الغربيون أن المسلمين يقرؤن ما يكتبون، وكان يزيد فى حدة هذه العداوة صيحات دول البلقان التى تستغيث بالدول الأوربية ، و تطلب منهم باسم المسيحية أن ينقذوها من حكم المسلمين .

كان هذا التاريخ الحافل ، و الحاضر الراهن ، بكل ما يحفل به من صور العداء يزيد فى احساس المستعمر الأوربى بالغربة و الخطر ، فكان التغريب - و التبشير فرع منه - هو الحل الذى اهتدى إليه ، و نشطت أجهزتهم فى تنفيذه .

و برامج التغريب تحاول أن تخدم هدفا مزدوجاً ، فهى تحرس مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التى تفصل بينه و بين المسلمين، نتيجة لاختلاف القيم و نتيجة للمرارة التى يحسها المسلم ازاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم، و هى فى الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التى تجمع المسلمين وتفوق جماعتهم التى كانت تلتقى على وحده القيم الفكرية والثقافية، أو بتعبير أشمل وحدة القيم الحضارية ، فيستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على حدة و أن يتفرغ لمواجهة ما عساه ينشأ من ثورات ، و ظهره آمن من ثورات المناطق الاسلامية الأخرى فى مستعمراته . التى قدتهب

لمساندتهـــا .

و قد لاحظ كرومر وجود هذا الخلاف الشديد بين المسلمين وبين المستعمر الغربى فى العقائد و فى القيم و فى التقاليد و العادات، و فى اللغة و فى الفن و فى الموسيقى ، و ذلك فى فصل طويل عقده فى كتابه الذى ألفـــه عقب مغادرته لمصر ، بعد أن وضع أساس السياسة الانجليزية و أشرف على تنفيذهـا مدة تقرب من ربع قرن ، و لاحظ أن هذه الخلافات هى السبب فى انعدام ثقة المسلم بالمستعمر الأوربى و سوء ظنه به، وهى السبب فى وجود هوة واسعة تفصل بينهما، وتجعل مهمة المستعمر محفوفة بالمتاعب ، و دعا من أجل ذلك إلى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة .

و قد اتخذت هذه الوسائل طريقين : أحدهما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشؤن تنشئة خاصة تقربهم من الأوربيين ، ومن الانجليز على وجـــه الخصوص فى طرائق السلوك والتفكير ، و من أجل ذلك أنشأ كرومر « كلية فكتوريا » التى قصد بها تربية جيل من أبنـاء الحكام و الزعماء و الوجهاء فى محيط انجليزى ، ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربى فى ادارة شؤن المسلمين ، و ليكونوا فى الوقت نفسه على مضى الوقت أدواته فى التقريب بين المسلمين و بين المستعمر الأوربى وفى نشر الحضارة الغربية .

و قد أعرب اللورد لويد الذى كان ممثلا لبريطانيـا فى مصر ، أو « مندوبا ساميا » كما كان يسمى فى ذلك الوقت، عن هذا الهدف ، حين قال فى خطبة ألقاها فى كلية فكتوريا بالاسكندرية سنة ١٩٣٦ عن طلبة

هذا المعهد وخريجيه (كل هولاء لايمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية ، بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين و التلاميذ ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويطعفوا عليها)

و متى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها فى الماضى ، يتنبه الوالدون إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمى فيهم من الشعور الانكليزى ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب ، علينا أن نحل المشاكل المعلقة بين مصر و انكلترا، و لا شك أن ستنشأ مشاكل أخرى فى السنوات القادمة من العلاقات بين الاثنين ، و هذه المشاكل تحل ، إذا تعلم كل من الانجليز و المصريين أن ينظر إلى رأى الفريق الآخر نظراً مقروناً بالفهم و العطف .

كان الاستعمار الغربى ينتظر الوقت الذى يستطيع أن يستغنى فيه عن الجيش ليعتمد فى حراسة مصالحه على الصداقة التى هى الهدف المقصود بكل مشاريعه فى نشر الحضارة الغربية .

أما الوسيلة الأخرى التى اتخذها الاستعمار لايجاد هذا التفاهم المفقود و عمل على تنفيذها ، فهى أبطأ ثماراً من الوسيلة الأولى ، و لكنها أبقى آثاراً كما لاحظ اللورد لويد وهى تتلخص فى تطوير الاسلام نفسه واعادة تفسيره ، بحيث يبدو متفقاً مع الحضارة الغربية أو قريباً منها على الأقل بدل أن يبدو عدواً لها أو معارضاً لقيمها و أساليبها .

﴿يتبع﴾

عوامل الصرع بين الاسلام و الغرب

الأستاذ خورشيد أحمد
تعريب : السيد ضياء الحسن الندوى

إن العلاقات بين الاسلام و الغرب طوال القرون الخمسة الأخيرة لم تقم فى جو سار أليف ، و ظل المسلمون فى موقف عقيم غير نافع من الغرب المادى ، كما أن المعاملة التى عانوها من أيدى القوى الضارية الغربية قدخلفت أذنابها النحسة فيهم ، تلك هى الأسباب التى أفسدت الجو رأساً ، فمن العبث أن نرجو تحسين العلاقات قبل أن ينقشع الضباب و الدخان الذى ملأ الجو سموما و ظلاما ، ولنظرة عابرة سريعة فى العوامل التى أفسدت الظروف و أظلمت المستقبل ستفيد جداً .

الاستعمار : إن طليعة جيش الغرب قد ورد فى العالم الاسلامى كبعثة ثقافية ، و إنهم فى أول و هلة من الروابط نزلوا كالتجار و المبشرين الذين استخدموا السلاح أخيراً ، وتغلبوا على تلك البلاد كسفراء الحضارة السامية ، ثم استطاع الغرب أن يشد البلاد الاسلامية فى وثائق العبودية و الاستعمار الغربى ، الذى استقر على قدم و ساق فى هذه المناطق ، و كان المسلمون أسوأ من خسروا حريتهم و شخصياتهم على أيدى الزعامة السياسية الغربية هذه ، و قد صدق البروفسور آرنولد توينبي - Prof. Arnold Toynbee إذ قال :

« إن المعارك التى لا زالت تجرى بين العالم و الغرب ، منذ القرن الأربعة أو الخمسة حتى اليوم ، إنما أحرز منها العالم - لا الغرب - تجارب خطيرة نافعة ، فلم يكن ذلك الغرب الذى أصيب بالعالم ، بل العالم الذى أصيب ، وأصيب شديداً بالغرب ، إن الغرب قد ظل رئيس المعتدين و المستعمرين حتى عصرنا هذا »

و يقول البروفسور فلب كے هتى Prof. Phillip K. Hitti عن العصر الذى ولى حديثاً :

من سوء الحظ ، لم يكن اصطدام الغرب - على المجموع - للخير أثناء السنوات العشر أو العشرين الغابرة خاصة ، و إن هناك تعارضاً قوياً بين ما صرح به المعلمون و لجان التبشير الغربية من مثل إنسانية و بين ما يعمل به الحربيون و السياسيون الأمريكان و الأوربيون من اهمال القيم الانسانية السامية ، كل ذلك ينم عن اختلاف واضح بين ما يقولون و ما يفعلون ، و عن تركز كل القوى على القيم الاقتصادية والقومية .

و إن تصرفات الأمم الراقية المزعومة ، اثناء الحربين الداميتين على قدر لا يعرفه التاريخ من قبل . و إن قدرة الرجل الغربى على اطلاق القوى الشيطانية التى أنتجتها العلوم الغربية و الماكينات الحديثة ، و التى ظلت تهدد السلام العالمى و تحيك خيوط الهلاك و الدمار للبشر كافة ، كما عالجت أمريكا و بريطانيا و فرنسا و الامم العدوانية الأخرى مشكلة فلسطين العزيزة .

كل هذه العوامل و الظروف المصطنعة قد تعاونت على خداع الرجل الغربى فى الشرق الأدنى ، الرجل الذى ظل يبذل كل مجهوده

فى تفاهم ذهنى أدبى مع الغرب ، و تلك هى الصنائع التى اقترفتها أيدى الغرب و قد أبعدت أخاه الشرقى من إخوانه الغربيين و أضعف ثقته بصفات الرجل الغربى و أخلاقه فى المجالين الفردى و الاجتماعى .

الاستغلال الاقتصادى : إن الاستغلال الاقتصادى للعالم الاسلامى على أيدى الغرب ، عامل قوى آخر للبلبلة الحاضرة ، إنهم استغلوا الشرق بوجه عام و عصروه حتى أصبح خشارة بيضاء ، و لكن المسلمين مازالوا هدفا خاصاً للغارة و الاستغلال الغربيين ، فقد حرموا القوة السياسية فى أوطانهم (البلاد الشرقية) كما ان الغرب شمر عن ساق الجد لاخضاع المسلمين وردهم إلى منزلة العبيد - لا الأحرار - و إلى مكانة النجارين و النزاحين ليس غير ، حيث لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولاضراً ولايتمتعون بكرامة بشرية ، وذلك ما اعترف به السر وليم هنتر Sir W. W. Hunter فى كتابه « حقائق عن الهند »

« لم يكن المسلمون فى أى جهة دون الهنادك بل إنه كان الحكم البريطانى الذى نزل بهم كبلية سماوية و اصابهم كمأهة زراعية »

« فى الحقيقة ليس هناك مكتب حكومى فى كلكتا ، يمكن فيه لمسلم أن يرجو وظيفة فوق منزلة الحاجب أو الحمال أو الفراش والخدم فى نظرهم.

« قبل مأة و سبعين سنة ، كان من المستحيل - تقريباً - لابن عائلة مسلمة فى بنغال أن يصبح فقيراً ، كما تعذر له اليوم - تقريباً - أن يبقى غنياً »

و نفس هذه التصريحات هى حقيقة العالم الاسلامى أجمع ، و إن هذا الاستغلال الفاضح للناطق المسلمة قد ألقى بذرة المقت و الكراهة

وعدم الثقة بالرجل الغربى ، و طلبة علم الاجتماع كلهم يعرفون جيداً أن مثل هذا السخط و التكالب إذا تنفس لا يقف عند حد معقول بل إنه يثير العواطف الهدامـــة و يبعث القوى النفسية التى تملأ الجو كله ناراً و سموما .

المعارف الغربية : إن ولاة العـالم الاسلامى الأجانب قد أحلوا تعريف مناهجهم الدراسية محلا رئيسياً فى البلاد التى حكموها ، و أرغموا الجيل الاسلامى الحديث على احتضان قيمهم و ثقافتهم و هى ثقافة و قيم غربية أجنبية معادية للثقافة الاسلامية السمحاء عداء شديداً .

إن اللورد ميكافيلى (Lord Mecaulay) قد عرف بالمنهج الدراسى الحديث فى الهند و صرح غايته فى الكلمات التالية :

« يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا لانشاء طبقة يعمل كترجمان بيننا و بين الملايين الذين تحكمهم طبقة رجال هنديين فى النسل و اللون ، انجليزيين فى الذوق و الأخلاق و العقلية و الآراء »

قد افتتح هذا النظام فهد سبيل مقتل ثقافى ذهنى للمسلمين كافة، وهنا نحب أن نشير ثانياً إلى السر وليم هنتر الذى درس و تأمل جيداً فى عواقب هذه البدعة السيئة ، إنه يصرح :

« من الحقيقة الباهرة ، أن نظامنا للارشادات و المعارف العمومية يعارض لمقتضيات المسلمين و تقاليدهم ، وكريه بمقوت لدى دينهم ، فلا غرابة إذن فى أن المسلمين وقفوا بمعزل عن نظام لم يحتفظ بمصالحهم الخاصـــة و لم يزودهم ما يسد حاجاتهم و يشفى غليلهم - نظام - فى الحقيقة و مع الأسف الشديد يعادى مصالحهم و يقوم سداً فى وجه تقاليدهم الاجتماعية

الحبيـــة »

مثل هذا المنهج الدراسى ، قد نشر فى طول العالم الاسلامى وعرضه و المسلمون - و إن تعلموا فى تلك المدارس ، طوعا أو كرهاً ولكنهم - مازالوا يعرفون هذا الواقع الأليم أن ذلك التعليم ليس إلا مؤامرة ضد معتقداتهم و ثقافتهم و دينهم ، و ذلك ما زادهم ضجراً وكراهة للغرب، و تلك الكراهة انفجرت - أخيراً - فى ثورة العقـــلاء و الأذكياء ضد الغرب بجميع ما فيه .

التغلب الثقافى : و إن القوة السائدة لم تأل جهداً فى ابعاد الشعب المسلم عن مصادرهم الثقافية و قسرهم لكى يعتنقوا الثقافة الغربية المعاصرة، أما المسلمون فلهم مثل و مبادىء و تقاليد ، و أنهم ذوو تاريخ زاهر و ثقافة نبيلة يفتخرون بهما و يعضون عليهما بالنواجذ .

و إن إدخال الثقافة الغربية فى صفائح قلوب المسلمين عنوة قد أنتج خروجا على الدين وزندقة فى المجتمع الاسلامى، وقد نشأت من هذا الخروج و الزندقة خلافات و شقاق مؤسف حقاً بين المسلمين ، فمن ثار منهم على التقاليد الثابتـــة النبيلة دعاه الغرب باسم « التقدمى » و « الجديد » و من رفض أن يخضع للثقافة الأجنبية الغربية ، دعوه بالرجعى المتخلف ولقبوه و أمثاله « بعربات التخلف و الرجعية »

بمثل هذه المكائد نجحت القوى الغالبة فى اطلاق شرارة سوداء قاتمة للثقافة الغربيـــة فى المجتمع الاسلامى ، و لكنها فى جانب آخر - أيقظت ضد الغربيـــة نفسها - أيضاً قوات هائلة لم تكد دائماً تنتهى دون حدود الاعتدال ، فكل عمل لقى رداً عنيفاً على السواء ، و ذلك ما أثار فى شعب

المسلم غضباً شديداً .

الهجوم ضد الاسلام :

و إن الحركات المذكورة آنفاً قد استردفت هجوما مكشوفا ضد الاسلام ، هجوما فى أبشع شكله ، فالذين طالما رفعوا رأية المعارف العرضية العقلية إلى اسمى غايتها ، استبطنوا الآن داخلية و عداءاً شديداً ضد الاسلام ، و وجهوا الاختلاق والتزوير من كل جانب على الاسلام و المسلمين ، و اعتبرت الأساطير كأحسن القصص المتداولة بينهم ، و لم يزل هذا النوع السخيف من الأدب يملأ الجو طوال القرون دخاناً متراكما .

لقد كان هذا ولم يزل إذا رمنا الحقيقة يثخن جسم الأمة الاسلامية جروحا، و إذا ما جرب العالم الاسلامى نفس الموقف من العلماء الغربيين و ذوى المعارف بجميع من فيهم من السياسيين و المبشرين كان له فى أنفسهم و مسارب أنظارهم ، تأثير بعيد المدى ، و رغم انهيار القوى الاستعمارية ، استمرت المهاجمات الأوربية على الاسلام ، مهاجمات كثيراً ما تحولت إلى مذابح أو قتالية أدبية

إن بعض المستشرقين المؤقرين فى الماضى الأخير قد حاولوا أن يختاروا موقفاً وداديا ، و لكن الأمر - على المجموع - يقتضى دراسة عميقة دقيقة و عناية بالغة ، لأنه لا يمكن توطيد العلاقات بين الاسلام و الغرب مع الجو المسموم والفلق الواسع ، حتى فى معتقداتهم الأساسية ولايتم تفاهم نبيل معتبر بينهما مادامت موجبات الابرام والضجر لايقضى عليها بتاتاً .

- الدعوة الاسلامية ليست ضرورة خلقية و حاجة اجتماعية و مصلحة بشرية كما يزعما بعض المسحورين الذين يخافون على أنفسهم، تهمه الرجعيه فى كل حين بل إنها قبل كل شئ، الطريق إلى الدار الآخرة ، « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »
- إنها تختلف عن سائر الدعوات فى التفكير و المنهج والعمل ، و تجمع بين الشعور و الوجدان و العاطفة و العقل ، و تهتم بالفرد الواحد مثلما تهتم بمجموعة الأفراد .
- إنها دعوة الأنبياء والمرسلين ، والخلفاء الراشدين ، و الصحابة و التابعين و هى تريد أن تحافظ على خصائصها و سماتها ، و قسماتها و ملامحها رغم سيل المادية الجارف، ورغم سيطرة القيم الغربية ، ورغم « العلم المزعوم و الموهوم » ، و رغم ما يعانيه «المتحضرون» من ضيق الصدر و مركب النقص ، و ما يعتريهم من خجل وحياء واستكاف عن تمثيل هذا الطراز القديم الكريم، الذى وعد الله به النصر المبين فى الدنيا و الدين .

الدّعوة الإسلاميّة

بقلم

المنابع الفلسفية لمادية الغرب

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

تعريب : السيد ضياء الحسن الندوى

كان المجتمع اليونانى القديم أول مجتمع فى التاريخ فصلت فيه الفنون والتقاليد و العلوم الاجتماعية والأوضاع السياسية عن الدين فصلا كاملا ، و فى تعبير آخر : كان اليونان القديم أول مجتمع علمانى حقيق ، و قد أسست فلسفته على الجحود بقدرة ما فوق الطبيعة ، إنهم آمنوا بأن المجتمع المتكامل المتناسق الممتاز بالعدالة و الجمال إنما يمكن اقامة مثله باستخدام الذكاء البشرى و العقل الثاقب الوقاد ، و لم يزل الفكر العلمانى موضوعا سائداً ، والمثل العلمانى مثلا سائراً فى الحضارة الغربية الحديثة .

أما الجمال فقد بلغ ذروته - عند اليونان - فى الجسد البشرى العارى عن زى ما ، كما لم تزل الأجساد البشرية العارية - سواء للرجال أو النساء - آية بينة فى الفن اليونانى ، فلم يزل يرددها الناحتون و المصورون اليونان ، و يصدروها مرة بعد أخرى ، و قد اعتبروا الألعاب الرياضية و الأولمبية أشياء لابد منها ، فى سبيل التنمية الجسدية إلى حد النهاية ، فما أعوزت أى مدينة أو بلد أو قرية - مهما أعوزت فى أهميتها - ساحة شعبية للالعاب الرياضية لتربية المصارعين و الملاكمين ، كما كانت مباريات المسابقات الرياضية الرسمية تنعقد فى المدرجات العريضة التى ربما لا تضيق على آلاف من المشاهدين ذرعا ، وكان عاديا جداً للساهين فى تلك الألعاب أن يمثلوا دورهم حفاة عراة مطلقاً . و إن الالعاب الاولمبية

Olympic Games كانت و لا تزال حتى اليوم ذات أهمية كبيرة فى تلك المسابقات .

و فيما يلى قبسات من « الجمهورية » الشهيرة للافلاطون ٣٤٧ ، ٤٢٧ ق م (Platos ' Republic ' 427-327 B. C.) الذى حاول أن يفسر الجنة الخيالية فى (الولاية المدنية المثالية) ، على لسان أستاذه سقراط ٣٩٩ - ٤٦٩ ق م (Socrates 469-399. B. C.) :

سأل غلاكون : « يا سقراط ! هل ترى أن إناث الكلاب الحارسة يجب أن تساهم فى عمل الحراسة التى يقوم بها الذكور؟ وهل يجب عليها أن تشترك مع الكلاب فى الصيد و ما تقوم به من أعمال أخرى ؟ وهل يفترض على الاناث أن تحفر بيوتاً لها للولادة ولتربية صغار الكلاب ، ويفترض على الذكور أن يعملوا عملا شاقا و يرعوا المواشى ؟

« يجب عليهما أن يعملا كل ذلك معاً ، أجاب سقراط ، إلا أننا نعامل الاناث معاملة الضعفاء ، و الذكور معاملة الأقوياء .

« و لكن هل يمكن استخدام الدواب و الأنعام لنفس الغرض ، إذا كنتم لم تعلموها و تربوها على ذلك من قبل ؟ « لن يمكن ،

« فى هذه الأيام أننا نعلم الرجال الموسيقى و الألعاب البهلوانية ، فيجب كذلك أن نعلم النساء نفس ذينك الفنين و الأمور الحربية أيضاً و نستخدمهن فيها كما نستخدم الرجال ، لا شك إننا نرى الفتيات العاريات فى مدارس «البهلوانية » يمرن مع الرجال ، لا الفتيات الشابات فحسب ، بل النساء العجائز أيضاً ، كما نرى أشياخ الرجال فى ساحة الالعاب متكرشين متجعدين الذين لايمتعون منها الأنظار شيئاً ، يرغبون فى الألعاب

حتى فى كبر سنهم »

و لكننا رأينا فى ضوء التجارب أن السفور ، أنفع من الحجاب، و التعرية و التجريد أحسن من التستر و التقنع ، و سرعان ما تذوب و تنتهى هذه المضحكات - على ما يبدو للعيون - وكما اتضح لنا فى ضوء العقل ، و سيكون ذلك خيراً ، إن هولاء الفتيات لابد أن يكن ملكا مشاعا بين الرجال جميعاً ، و أنه لا يجوز لأحد أن يستخلص منهن زوجة لنفسه دون غيره ، و الأنجال أيضاً ، يجب أن يكونوا مشاعا ، لايعرف الأبوان أنجالهم و لا الأنجال أبويهم »

« إنى أرى فى دارك الطيور و كلاب الصيد ، هل انتبهت يوما إلى تزاوجها و توالدها ؟ .

و مما اتفقنا عليه ، أن أخيار الرجال قوة و جسداً لابد لهم أن يختلطوا - أسرع ما يمكن - مع أخيار النساء قوة و جمالا ، كما يجب أن تربى انجال الأخيار - فقط - رجالا و نساءاً ، إذا أردنا أجيالنا أن تنهض و تحيا حياة غبطة و سرور ، و لا يجوز لأحد ن يعرف مذابح الصبيان هذه التى تجرى ، إلا الحكام ، و سيلجأ الحكام مراراً إلى الكذب والخداع فى سبيل سعادة الرعية ، وكما صرحنا به من قبل أن كل هذه الأشياء نافعة كالعقاقير والمخدرات ، ولابد أن تفتك بكل ولد ناقص بعد ولادته توآ على أنه ليس هناك مايطعم ويرضع به مثل ذلك الجنين »

قد ورث الروم الوثنى من اليونان هذا التراث العلمانى فاحتفظ به و خلده على كل حال ، إن الرومان لما كانوا - فوق كل ذلك - عسكريين فان عبادة الجمال سرعان ما استعاضت عبادة القوة ، و إن أمثلية اليونان

الشديدة قد انذابت سريعاً فى إلحاد و تهكم دائم ، كما يبدو من البراهين التى قدمها إلينا الفلسفى الرومانى الكبير ميكسيمس من تائر (Maximus of Tyre) تاييداً للالحاد :

إن السرمدى يحقق ما يريد من السرمدية المطلقة ، و إذا كانت الدعوات تتفق و ارادته الثابتة اللامتغيرة أبداً ، فلا يجدى نفعاً إن سألناه عما صمم به من قبل ليؤتيه إيانا ، و إذا كان رجل يدعوه أن يفعل على عكس ما عزم عليه ، فهذا دعاه إلى أن يحب لنفسه موقف عاجز مستهتر غير ثابت ، هذا اعتقاد بأنه واحد منا ، و ذلك استهزاء و سخرية منه ، و إنك إما أن تسئله حقاً يجب عليه أن يعطيه إياك ، فانه سيعطيكه بغير أن تطلبه منه ، فان التوسل و الاستعطاف الزائد ليعتبر عدم ثقة به ، وإما أن تسئله باطلا (ما ليس لك فيه حق) فانك بسؤالك هذا تقترف اهانته .

و اعلم أنك إما أن تكون جديراً أو غير جدير بالنعمة التى تتضرع لها ، فاذا كنت جديراً فانه يعلم جدارتك أحسن منك ، و إذا كنت غيره فقد اقترفت إثماً آخر بسؤالك ما لاتستحقه ، وقصارى الكلام أننا ندعو الله لأننا (العياذ بالله جل وعلا) اخترعناه فى فكرتنا وتصورنا .

و فى فترة ألف سنة خلال انهيار الامبراطورية الرومانية و طلوع « النهضة الحديثة » (Renaissance) فى أوربا ، لم تزل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تسود فائقة على الجميع ، و لقد انقطعت علاقات أوربا التاريخية مع اليونان القديم خلال هذه الفترة الطويلة التى تعرف لدى الجمهور باسم « العصور المتوسطة »

و إن العصور المتوسطة قد كونت - فى الحقيقة - حضارة ليست فى شئ أقل من أن يدعى حضاره ممتازه وحيدة تعمقت جذورها فى نفس تلك « العصور » ولم يوجد فيها شئ من المعالم المشتركة بينها وبين المجتمعين اليونانى أو الرومانى، أو مع أوربا الحاضرة ، فلايصح أن يسمى حضارة العصور المتوسطة « حضارة غربية » إلا من جهة وضعها الجغرافى .

وإن حضارة العصور المتوسطة كانت من كل جهة حضارة عدائية معارضة مع الحضارة المعاصرة ، و من أجل ذلك انتقدها المؤرخون المعاصرون نقداً لاذعا عنيفاً ، أكثر من كل عصر آخر من عصور التاريخ الأوربى ، و لنفس السبب أيضاً لم تكتسب كلمة فى اللغة الانجليزية معان أكثر ثلمة للصيت وحطاً بالكرامة ، من كلمة ' Medieval ' ، أى مختص بالعصور المتوسطة ، فكلما يسمع أوربى أو أمريكى هذه الكلمة أويتصدى للنعت الذى تدل عليه ، فان فكره المذعور يسوقه مباشرة إلى قرون مظلمة من الهمجية و الاقطاعية و الجهالة و الخزعبلات ، و كلما يريد غربى أن يصف أيما منظمة من العالم يراها متخافقة رجعـية يطلق عليها اسم ' Medieval '.

إن النهضة العلمية الحديثة (عصر الاصلاح فى أوربا) قدوافقت كبار العقلاء الأوربيين فى رفض المسيحية رفضاً باتاً مع حبهم لليونان و الروم القديمتين ، كما عنوا بالاصلاح أو النهضة ، - فى الحقيقة - تجديد الالحاد والوثنية ، ليس غير ، هكذا عادت الحضارة الغربية إلى موضوعها الأصلى ، و بناءاً عليه واصلت نهضتها منذ ذلك العهد .

و كان من أبرز شخصيات « عصر الاصلاح » نكولو ميكافيلى

١٥٣٢ -- ١٤٦٩ م (Nicolo Machiavelli 1469-1532 A. C.) الذى لخص روح « الاصـلاح » إنه كان ينتمى إلى (فلورنس ايطاليا (Flovence- Italy) و قد شغل منصباً هاما فى حكومته ، قد استقر فى ذهنه انهيار النظام السياسى و ضعف القوة العسكرية فى إيطاليا بالنسبة إلى جارتيها أسبانيا و فرنسا ، و لم تزل فكرته تلك تشتد شيئاً فشيئاً أثناء خدمته طوال ثلاث عشرة سنة ، ثم عزل « ميكافيلى » عن منصبه و نفى كنتيجة للحرب مع فرنسا ، و بينما كان فى النفى إذ ألف كتاباً فى تكنيك و اكتساب و تعزيز و توسيع القوة السياسية ، و لعل كتابه «دى برنس» (The Prince) كان و لم يزل أبلغ تاثيراً من كل ما كتب فى هذا الموضوع ، وكان ميكافيلى فوق كل ذلك شديد العصبية للقومية والوطنية، و إن ايطاليا المتحدة كالقوة العالمية السائدة كانت من أعز آماله و أحلى أمانيه ، و إن ميكافيلى الذى كان موجداً « للدولة الكلية المعاصرة » قد اعتبر القوة فحسب ، هدفا نبيلا أسمى فى ذاته .

« إنى أعرف جيداً أن كل واحد سيعترف بأن الملك أو الأمير سيجلب الثناء البالغ إن اتصف بجميع الصفات التى تعتبر نبيلة ، و ربما أنه لا يمكن احراز أجمعها أو مشاهدتها فحسب ، لأن الشؤن البشرية تأباه كل الاباء ، فانه يجب عليه أن يستخدم فطانته مراراً قبل أن يغفل عن افتضاح شرور و معائب تنتهب ملكه من أيديه و تحرمه سيادته ، و إن رجلا إذا تأمل جيداً وجد أن بعض الأشياء التى تترأى فضيلة ، إذا ما اتبعت أفضت إلى الهلاك و الدمار ، و بعض ما يتمثل عيباً و رذيلة، ينتج أخيراً طمأنينة و رفاهية .

ما أحسن للملك أن يحافظ على عهده و يحسن الظن بالناس ويعيش بسلامة و استقامة ، لا بفطنه و ذكاء ، و لم تزل تجربة عصرنا هذا ترينا ملوكا قاموا بأعمال عظيمة بغير ما حسبوا لحسن النية و العهود كبير حساب ، و استطاعوا بفضل ذكائهم و فطانتهم أن يحيروا عقول الناس و أخضعوا رجالا استشعروا بالاخلاص و الوفاء .

و الملك بعد ما أختبر هذا جيداً كيف يعمل عمل السباع ، بل لابد أن يحتذى حذو الثعلب و الأسد معاً ، لأن الأسد لا يستطيع أن يحمى نفسه من مكائد الأشراك كما أن الثعلب لا يقدر على صيانة نفسه من الذئاب ، و لأجل ذلك يجب على الملك أن يتمثل ثعلباً ليتجنب الأشراك ، و أسداً ليخوف الذئاب ، و الذين يحبون أن يتمثلوا أسوداً فحسب ليسوا من الخبرة فى شئ، فلاينبغى للحاكم المتدبر الفطن أن يحافظ دائماً على عهده ، خصوصاً إذا كان ذلك يعارض مصالح ذاته ، وكانت الأسباب التى أرغمت نفسه على الوعد (على الوفاء) لا توجد بعد ، و لو كان جميع الناس صالحين من غير استثناء لما صحت تلك الخطة التى أشرنا إليها آنفاً ، و لكنهم إذا لم يكونوا كذلك فليس عليك إذن أن تحافظ على عهودك لهم، ونستطيع أن نقدم عدداً كبيراً من الأمثلة العصرية الجديدة لنثبت ، كيف وكم من صلح و عهود أصبح لا قيمة له لأجل غدر الملوك والأمراء، و الذين استطاعوا منهم أن يتمثلوا الثعلب فازوا فوزاً عظيما ، و لابد من أن يخفى الملك صفاته هذه إخفاءً كاملا و يكون أكبر متصنع مخادع فى عصره ، فان الرجال بلغوا من السذاجة والبلاهة شأواً بعيداً، ومن يجعل العذر والخيانة عادة له وشعاراً لا يفقد

أبداً أناساً يسمحون لأنفسهم أن يخادعوه مرة بعد أخرى .

و يجب على الملك بل يفترض عليه أن يعتنى بما يلفظ من كلمات ، عناية بالغة فلا يتفوه بشئ يعوزها الحنو و الرأفة و الثقة و الاخلاص و الديانة ، و ليس شئ أكثر أهمية و أمس حاجة إليه من التظاهر بهذه الصفة الأخيرة ، الديانة، لأن الناس يحكمون - بوجه عام - بالعيون لا بالأيدى ، و لأن كلهم يستطيع أن ينظر و أقلهم يشعرون ، وكل واحد يراك بما تتمثل له و القلائل يعرفونك كما أنت فى نفسك أصلا ، وهولاء القلائل سوف لا يقدرون على أن يقاوموا الكثيرين الذين تملكوا هيبة الحكومة وخامتها ليدافعوا عن أنفسهم ، ويعتبرون «الغاية تبرر الوسائل» مبدءاً حياً لمن يزعمون أنفسهم فوق كل استئناف أو استغاثة، من الملوك و الحكام .

إن الاصلاح البروتستانتى (Protestant Reformation) قد أصاب النصرانية العالمية بثلمة شديدة لم تبل منها بعد ، و كان المارتين لوثر (Martin Luther) غير قانع باصلاح انتهاك قوة الكنيسة و الفساد و الحياة السائدة فى المجتمع الأوربى . فخالف الكنيسة كلياً و أنشأ ديناً جديداً عن نفسه ، و إن الزعماء البروتستانتيون برفضهم سلطة البابا و اللغة اللاتينية قد أبدوا قضية القومية العلمانية ، و قد احتلت كثرة النحل و الفرق الصغيرة الضعيفة المزاحمة كلها مع الأخرى ، بمظاهرها الضيقة المحدودة ، مكانة النصرانية القوية المتحدة ، و قد أنشأ هولاء الزعماء فى البلاد البروتستانية كنيسة قومية منفصلة تحت سلطة ورعاية من الحكومة، و لم يزل كذلك حتى صارت القوة الروحانية للدين تابعة لمصالح السياسة العلمانية فى كل مكان فى أوربا .

﴿يتبع﴾

التناسق الاسلامى

بين مطالب الجسد و مقاصد الروح !

الأستاذ معين الدين أحمد الندوى
رئيس تحرير مجلة «معارف» الغراء
(مغرب)

يمتاز الاسلام بالنسبة إلى غيره من الديانات بأنه لا يقر بتعارض بين الدين والدنيا ، والروح والمادة شأن الأديان والفلسفات الأخرى ، و إنما يعتبر واحداً منهما وسيلة لتكامل الآخر ، و إن الدين لا يجد إلى نفس الانسان سبيلا بدون أن يحيا حياة طيبة فى الدنيا ، و لذلك فقد أعار الاسلام الجانبين كليهما أهمية على السواء ، و أعلن بلسان القرآن « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

أنظر كيف يقارن الدنيا بالآخرة ويراعى مصالح الروح مع مطالب الجسد ، إنه يمنع عن كل ما يغمط حق الجسد ، ويسمح بالاستمتاع من جميع نعم الدنيا و لذاتها فى قصد و عدل ، و يأمر بذكرها و بالتحديث بها « و أما بنعمة ربك فحدث » و يحرم الرهبانية و الانقطاع عن الدنيا بتاتاً ، و لا يرضى لأتباعه ، بما لا يطيقونه حتى فى العبادات ، يعلن القرآن بجهر و صراحة : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » « يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر » « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ، و ليتم نعمته عليكم ، لعلكم تشكرون » « و ماجعل عليكم فى الدين من حرج » و فى الحديث : « أحب الدين عند الله

الحنيفية السهلة »

و قد كان الرسول عليه الصلاة و السلام يوصى أصحابه بالتيسير فى أمور الدين فقال مرة : « إنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين » وقال « يسروا و لا تعسروا ، و سكنوا و لا تنفروا »

و بعث ذات مرة أبا هريرة و معاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى قوم فقال لهما : يسرا و لا تعسرا ، و بشرا و لا تنفرا و تطاوعا » و عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط ، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فان كان إثماً كان أبعد الناس منه »

و قد نرى أن أتباع أكثر الديانات يعتبرون الغلو فى الزهد و العبادة مقياس التدين ، و يرون من واجب التزكية الروحية أن يتكلف الانسان من الرياضات الشاقة و المجاهدات الشديدة ما لا يطيقه ، فيقوم زهادهم و عبادهم بتعذيب أنفسهم ، و يستوجبون تحمل كل مشقة فى سبيل الزهد والتزكية بما تقشعر منه الجلود ، ويتمثل لنا كل ذلك فى مجاهدات المتصوفة من الهندوس و رياضات الرهبان من المسيحيين ، و نستطيع أن نرى صورة هذا التعذيب فى تاريخ أوربا الخلق .

أما الاسلام فانه دين فطرة يراعى اليسر فى جميع عباداته و تعاليمه وفق الفطرة الانسانية ، و يكره التشديد فيها ، فقد جاء فى حديث الرسول ﷺ أنه قال : « ان الدين يسر فلن يشاد الدين أحد إلا غلبه » و لذلك فقد كان لا يحب الغلو و الاسراف فى أمور الدين ، و كان يمنع أصحابه عن ذلك ، كان عبد الله بن عمرو بن العاص من الزهاد و

العارفين فكان يقضى أكثر أوقاته فى العبادة و الرياضة ، يصلى الليل و يصوم النهار فلما اطلع رسول الله ﷺ على أمره قال :

« يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار و تقوم الليل ؟ فقلت بلى يا رسول الله ، قال فلا تفعل ، صم و أفطر ، و قم و نم ، فان لجسدك عليك حقاً ، و إن لعينك عليك حقاً . و إن لزوجك عليك حقاً و إن لزورك عليك حقاً ، و إن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله ، فشددت فشدد على ، قلت يا رسول الله إنى أجد قوة قال فصم صيام نبى الله داؤد عليه السلام ، و لا تزد عليه ، قلت و ما كان صيام نبى الله داؤد عليه السلام ؟ قال نصف الدهر ، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر ياليتنى قبلت رخصة النبى ﷺ (١) »

و عن عائشة رضى الله عنها : قالت نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا إنك تواصل ، قال إنى لست كهيئتكم ، إنى يطعمنى ربى و يسقين ، يعنى أن العامة من الناس لا يطيقون ما يطيقه الرسول من أعمال و عبادات ، و يروى أن النبى ﷺ قال : « إعملوا ما كلفتم فان الله لا يمل حتى تملوا »

و كان لعبد الله بن عمرو بن العاص شغف زائد بتلاوة القرآن ، فكان يكثر قراءته فنهاه الرسول عليه الصلاة و السلام عن ذلك و أمره بأن يقرأ القرآن كله مرة فى الشهر ، فقد روى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال له إقرء القرآن فى شهر قال إنى أجد قوة

(١) البخارى كتاب الصيام

قال اقرء فى عشر قال إنى اجد قوة قال اقرأ فى سبع ولاتزيدن على ذلك .

و كان أبو الدرداء من أكثر الناس عبادة وزهداً وكان النبى ﷺ قد آخى بينه و بين سلمان الفارسى رضى الله عنه ، روى أبو جحيفة أن سلمان جاء يزور أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال ما شأنك فقالت إن أخاك ليس له حاجة فى شئ من الدنيا . قال فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان و قرب له طعاما قال فقال سلمان أطعم قال إنى صائم قال أقسمت عليك إلا ما طعمت ، إنى لست آكل حتى تطعم قال وبات سلمان عند أبى الدرداء فلما كان الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان وقال يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً وإن لاهلك عليك حقاً وإن لجسدك عليك حقاً ، فاعط لكل ذى حق حقه ، قال فلما كان وجه الصبح قال قم الآن ، قال فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة قال فلما صلى رسول الله ﷺ قام إليه أبو الدرداء و أخبره بما قال سلمان ، فقال رسول الله ﷺ مثل ما قال سلمان ، ذكره على بن المدينى عن جعفر بن عون .

و كان النبى ﷺ ينهى أهله أيضاً عن العبادة الشاقة ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخل النبى ﷺ فاذا حبل ممدود بين الساريتين فقال ما هذا الحبل ؟ قالوا هذا حبل لزينب فاذا فترت تعلقت ، فقال النبى ﷺ لا ، حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا فتر فليقعد ، قال وقال عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت عندى امرأة من بنى أسد فدخل على ﷺ فقال من هذه ؟ قلت فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاتها ، فقال مه ، عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فان الله لا يمل حتى تملوا .

و كان رسول الله ﷺ يهتم بالتيسير للناس فى أمور الدين، فلم يكن يحب أن يطيل القراءة فى الصلاة مع الجماعة ، و كان يوصى أصحابه و يقول : إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فان منهم الضعيف والسقيم و الكبير ، و إذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء (١) .

و قد كره الرسول ﷺ التطويل فى الصلاة الذى يبعث السآمة و الملل فى نفوس المصلين ، و يحملهم على الشكوى ، فعن أبى مسعود رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يطيل بنا فلان فيها ، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب فى موضع كان أشد غضباً منه يومئذ ، ثم قال : أيها الناس إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز ، فان خلفه الضعيف والكبير و ذا الحاجة (٢) .

و عن جابر بن عبد الله الانصارى قال أقبل رجل بناضحين ، و قد جنح الليل فوافق معاذاً يصلى فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء ، فانطلق الرجل و بلغه أن معاذاً نال منه ، فأتى النبى ﷺ فشكا إليه معاذاً ، فقال النبى ﷺ ، يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن أنت ، ثلاث مرار ، فلولا صليت بسبح اسم ربك و الشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى، فانه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة(٣) .

كذلك كان النبى ﷺ يكره التجشم و تعذيب النفس فى الحج فقد جاء فى الحديث الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى شيخاً يهادى بين ابنيه ، قال ما بال هذا ؟ قالوا نذر أن يمشى ، قال إن الله

(١) صحيح البخارى كتاب الصلاة (٢) ايضاً
(٣) ايضاً

عن تعذيب هذا نفسه لغنى ، وأمره أن يركب .

و عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلا (لاغباً) يسوق بدنة فقال اركبها ، فقال إنها بدنة ، فقال اركبها ، قال إنها بدنة ، قال اركبها و يلك فى الثالثة أو فى الثانية (١) .

أما أسوة رسول الله ﷺ فى هذا الجانب الحيوى فقد كان كما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه يقول :

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبداً ، و قال آخر أنا أصوم الدهر و لا أفطر ، و قال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا و كذا ، أما و الله إنى لأخشاكم لله و أتقاكم له ، لكنى أصوم و أفطر و أصلى و أرقد ، و أتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى (٢) .

و الحقيقة أن كل ما قام به رسول الله ﷺ من أعمال أو أمر به لم يفعل ذلك إلا لتكون كلمة الله هى العليا و كلمة الكفر هى السفلى، و لكى يبلغ إلى الناس دعوة الله و رسالته ، و يعلمهم تعاليم الاسلام و حدوده ، و يشرح لهم كل أمر من أمور الدين شرحا وافياً ، و ذلك لأنه ﷺ لم يكن معلماً أو مبلغاً فحسب ، بل وكان يجمع بين الدعوة والعمل و بين امارة الدولة و قيادة الجيش ، و بين القضاء و الافتاء ، يباشر كل

( ) صحيح البخارى كتاب الحج (٢) صحيح البخارى كتاب النكاح

عمل بنفسه و يقضى جل وقته فى التفكير فى أمور الدين ونظمه ، وتطبيق الاسلام على الحياة العامـــة ، فكان يعيش فى العبادة و الاتصال بالله فى كل حين و آن .

و ما القصر فى الصلاة وإفطار الصوم فى السفر ، إلا لتيسير الدين و ليسيغه كل نوع من الناس بكل سهولة . أليس أداء الصلاة بالجماعة مما يؤكد الاسلام و يهدد من خالف ذلك بالعقاب و الشذوذ ، و لكن الرسول عليه الصلاة و السلام كان يلاحظ فيه التيسير أيضاً و يعلن فى الناس ليالى البرد الشديد وأيام المطر الغزير أن يصلوا فى رحالهم .

و قد كانت العزوبة و الزهد عن الزواج مقياس الصلاح و التبتل فى الجاهلية ، فلما جاء الاسلام منع عن ذلك ، و شدد عليه النـــكير ، و صرح بلسان القرآن بالتزوج من النساء مثنى و ثلاث و رباع ، و اعلن النبى ﷺ : « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى »

و قد كان بعض الزهاد والنساك يختصون قضاءاً على شهوة النفس، فلما علم بذلك رسول الله ﷺ نهى عنه : كما جاء فى الحديث عن سعد بن أبى وقاص يقول رد رسول الله ﷺ عـــلى عثمان بن مظعون التبتل و لو إذن له لاختصينا

أما المقياس الثالث للزهد و الصلاح فكان الانقطاع عن اللذات و الرغبة عنها ، لقد كانت العباد و الزهاد يحرمون عـــلى أنفسهم التمتع من نعم الدنيا ، فلما جاء الاسلام قضى على هذه الفـــكرة ، و أعلن مدوياً مصرحا :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا ما أحل الله لكم ، و لا تعتدوا

إن الله لايحب المعتدين ، و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » (المائدة ١١)

« يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » (البقرة ٢١)

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » (البقرة)

و لم يكتف بذلك بل نهى عن ترك الزينة الظاهرة أيضاً فقال :

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا ، إنه لايحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده و الطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (المائدة)

و نجد بازاء ذلك كثيراً من الآيات و الأحاديث التى تذم الدنيا و ما عليها و تصغر الحياة القصيرة فيها ، و تشير إلى أن الدار الآخرة لهى الحيوان. فقد ينخدع بعض الناس و يزعمون أن هناك تعارضاً بين آيات القرآن و الأحاديث ، ولكن الحقيقة على عكس ذلك ، فان الاسلام ولا شك يعتبر الحياة الآخرة هى الحياة الحقيقية التى لاتتيسر إلا بالزهد عن الدنيا و لكنه لايعنى بالزهد الانقطاع الكلى عن نعم الدنيا ولذاتها ، إنه يرفض هذا المفهوم للزهد ويتجه طريقاً وسطاً بين الافراط والتفريط فى التمتع منها ، فان الدنيا خلقت لكم ، و إنكم خلقتم للآخرة ، إنه يعتبر الدنيا مزرعة الآخرة وقنطرة للوصول إليها ، ووسيلة إلى الجنة ونعيمها ، و ذلك لا يتحقق بالرغبة عنها و الزهد فيها بتاتاً ، و لكن من شأن

المؤمن أن يخوض فى معترك الحياة ، ويسهم فى أمورها بدون أن يتكالب عليها أو يفتتن بزخارفها ، و ينساق فى تيارها الجارف ، و يغفل جانب الآخرة المهم .

إن الاسلام دين الفطرة والانسانية جمعاء ، و هو يجمع بين خيرى الدين و الدنيا ، فلا يسمح بترك واحد منهما كلياً و الاقبال على آخر منهما كلياً ، و إنما يطلب القصد فى الجمع بينهما لكى لا يطغى جانب على آخر ، و ينعدم الاتزان ، و فقدان الاتزان يفضى إلى الفساد و يؤدى إلى الفوضى و الأنهيار و التدهور و الانحلال .

يستهدف الاسلام فى جميع تعاليمه إلى فلاح الانسانية ، و سعادة البشرية و هى غاية لا تتحقق بالزهد فى الدنيا و الانقطاع عنها كلياً ، بل بالتمتع بأسباب الدنيا و ما خلق الله فيها من نعم و ملذات ، مع الاقبال على الله و الاتصال به فى كل حين و آن ، و لذلك حرم الانقطاع عنها بتاتاً ، و صرح أن الزهد ليس ما يسميه بعض الناس أو يفهمونه من أن يحرم الانسان دنياه على نفسه ، إنما الزهد الحقيق أن يقوم الانسان بتأدية حقوق الله و الناس مع العيش فى الدنيا والتمتع بنعمها والاستعانة بأسبابها ، دون أن يعيرها اهتماما أو قيمة بل يركز جل همه و تفكيره فى طلب مرضاة الله و الاتصال به و التقرب إليه . و يجعل غايته الحقيقية الدار الآخرة .

وشتان بينه و بين من يجعل الدنيا همه ومناه ، ويعتقد التمتع بلذاتها و شهواتها غايته و هدفه ، فلايطلب إلا العاجل و لا يعيش إلا فى التفكير و البحث عنه ، و ذلك ما يذمه الاسلام ، و يراه بعين الازدراء

و الاحتقار .

إن غاية الاسلام التى يوجه إليها اتباعه إنما هى الاتصال بالله و ابتغاء وجهه فى كل عمل و ذلك لا يتحقق ما لم يعرف العبد فى أمور الدين و الدنيا جميعا حدود الله ، أما الزهد عن الدنيا و الانقطاع عنها بتاتاً يعارض هذه الفكرة ، و يحول دون تحقق تلك الغاية التى ذكرناها آنفاً ، و لذلك فان الوجه الصحيح لابتغاء وجه الله و الاتصال به هو أن نعمل بجميع ما أمر به الاسلام فى تعاليمه وننتهى عما نهى عنه مبتغين فى كل ذلك مرضاة الله ، و هكذا يعود كل عمل نقوم به - مهما كان - عبادة تكسب رضا الله سبحانه و تعالى .

و بعد ما علمنا هذا و عرفنا الطريق الصحيح لتحقيق الغاية الأصيلة و اطلعنا على موقف المؤمن الصحيح من هذه الدنيا لا نرى الاستمتاع من نعم الدنيا ولذاتها والاتصال بالدنيا حسب حدود الله مما ينافى الاسلام الصحيح و الايمان المخلص ، بل و يمكن لكل إنسان أن يحتل مكانة عالية للورع و التقوى على رغم اتصاله بالدنيا و الاستمتاع بخيراتها .

(١١)

من مذكرات الدعوة

اسبوعان فى تركيا الاسلامية الحبيبة

سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى
تعريب : سعيد الاعظمى الندوى

يوم الجمعة ١٢ من شهر ذى القعدة ١٣٧٥هـ المصادف ٢٢ يونيو ١٩٥٦م

ضريح أتاتورك : كان الأخ زين العابدين أشار على بزيارة ضريح أتاتورك فى أنقرة ، و قال لى : إنى أرى أن لا تفوتكم مشاهدته على رغم كراهتكم لذلك ، و ذلك لكى يمكن لكم تقدير ما أنفق على تشييده ، ومدى إتصال الجيل الجديد به .

فلما زرته وجدته بناية ضخمة فخمة ، تتقدمها حديقة واسعة ، والبناية شامخة شيدت على طراز فن العمارة الرومية ، و قد كتب على الجدران خطابان لأتاتورك موجهان إلى الشباب ، و لا يبدو من أى زاوية من زوايا هذه البناية و لا من كلمة من كلمات هذين الخطابين أن الضريح و الخطاب لفرد من أفراد المسلمين ، لقد أثارت هذه المناظر شجونى ، و نغصت قلبى

فى كلية الالهيات : جاءنى الأستاذ أديب كامل فى الساعة العاشرة ليذهب بى إلى «كلية الالهيات» و يجمعنى بالأساتذة هناك ، و هذه الكلية بمثابة كلية الشريعة هنا ، شيدت بنايتها على طراز جديد ، كما أن الأسلوب

المتبع فى النظام و التربية حديث ، و قد اجتمعت ببعض الأساتذة فى غرفة مدير الكلية . و كان من بينهم أستاذ اسمه « نافذ دانشمن » كان يقدر على التكلم بالعربية الفصحى ، و يبدو أن دراسته واسعة و جديدة ، فقلت له : إن الظروف العصيبة تحتاج دائماً إلى ذكاء فائق ومواهب قوية تواجهها بفراسة و ايمان ، فان الموقف الذى تقفه تركيا الآن يتطلب الفكر المجتهد و النظرة الثاقبة لتمثيل الدين و أداء دوره الفائت فيها ، إن حاجة تركيا اليوم إلى محمد آخر يفتح هذه البلاد بالحكمة و الموعظة لا بالسيف و القتال ، و يخضع الجيل الجديد أمام قوة الاسلام عقلا و قلباً ، و يصف له الاكسير ، بالجمع بين الدين و الدنيا ، و قد لاحظت مدى ذكائه و دراسته فى حديثه الذى دار بينى و بينه .

مع أساتذة الكلية : و أتيت إلى دار الأساتذة حيث لقيت عدداً من أساتذة الكلية واجتمعت بهم ، وكان من بينهم الأستاذ محمد طنجى و هو من طنجة من المغرب يدرس فلسفة الاسلام فى الكلية ، و الأستاذ نشأة جغتائى و هو أستاذ التاريخ الاسلامى ، و الأستاذ كمال أديب الذى كان دليلى و رفيقى فى هذه الجولة وهو يدرس التصوف الاسلامى وأصول الدين ، و الأستاذ نافذ دانشمن الذى يدرس علم الكلام ، و الأستاذ عزت حسن و هو أستاذ اللغة العربية والأدب العربى ، و هو من سوريا و أمه تركية فيعرف اللغتين العربية و التركية و يجيدهما كلغة الأم ، ولقد ظهر لى بما سمعت من كلامهم و قدرت من دراستهم أنهم يستحقون بكل جدارة أن يكونوا موضع غبطة و اعتزاز لكل كلية كبرى .

كفاءات المعلمين : و أعتقد أن هولاء الأساتذة لا يألون جهداً فى

أداء مسؤليتهم و واجبهم نحو الطلاب ، نظراً إلى دراستهم العميقة و فضلهم العلمى ، و اطلاعهم الواسع ، و لكن التبحر فى العلوم و التوسع فى الدراسات وحده لا يكفى لتوجيه الطلبة و تربيتهم الخلقية و العملية و بعث العزم و الحماس والقوة والروحانية فيهم ، إن ذلك يتطلب أنواعا من المؤهلات و الكفاءات التى أشار إليها الشاعر محمد اقبال فى بيت من شعره ، فيقول : « النظر العميق ، والكلام المؤثر الجذاب ، والقلب الذائب المتحرق كل ذلك زاد القائد المؤمن » و لا أدرى إلى أى مدى يتصفون بهذه الصفات ، والتجربة خير شاهد على أن عمل الدعوه والتربية لا ينال قبولا بدون ذلك ، و قد قال الشاعر قديماً ما معناه :

« لا قيمة لأى عمل إذا لم يتصل بدعاء السحر و التناجى مع الله ، فان التاريخ لم يعرف عطاراً و الرومى و الرازى والغزالى إلا لأنهم كانوا يتصلون بدعاء السحر و صاحبه »

و لكن بالرغم من ذلك يبدو أن المسؤلين مؤفقون فى اختيار الأساتذة .

مقررات الكلية و نظامها الدراسى : إن المقررات الدراسية للكلية تحتوى على القرآن و أركان الاسلام و التفسير و الحديث ، و فلسفة الاسلام و تاريخ الاسلام ، و الفقه الاسلامى و علم الكلام ، و التصوف و موضوع النفسية الدينية و العلوم العمرانية للدين ، و تتضمن تدريس اللغات التركية والعربية والفارسية واللغات الأجنبية مثل الألمانية والفرنسية و الانجليزية .

إن مواضيع هذه المقررات و الفنون التى تضمها لاتهمنا ولاتحتاج

إلى ملاحظات أو إبداء رأى عنها ، و لكن الذى يجب أن لا نغفله هو أن نقدر مدى إساغة الطلاب إياها ، و نرى إلى أى حد يستفيد منها الطلاب من الناحية الدينية و العقلية ، و لا يمكن تقدير ذلك إلا بالطلبة الذين يدرسون فى هذه الكلية ، و لكن الفرصة غير سانحة لتحين موعد الامتحان السنوى و انتهاء السنة الدراسية .

وتتألف أسرة المعلمين فى الكلية من تسعة أساتذة وأستاذين مساعدين و ثلاثة محاضرين ، يبلغ المجموع إلى أربعة عشر معلماً ، أما الطلاب فأربعة وستون طالباً ، منهم ٥٢ طالباً و ١٢ طالبة ، و لا بأس بهذا العدد نظراً إلى عمر هذه الكلية القصير ، و قد أخبرنى بعض الأساتذة أن الأسر الشريفة المسلمة من أناطولية تحرص على بعث أبنائها إلى هذه الكلية ليدرسوا فيها ، و هم لا يأتون إليها إلا لتحصيل علوم الدين بغاية اخلاص و صدق نية ، و هم لا يحملون و أولياؤهم إلا دافعاً واحداً ، و هو أن يطلعوا على الدين و يعضوا عليه بالنواجذ .

و قال لى هولاء الأساتذة ، إننا لا ندرى إلى أى مدى ننجح فى تحقيق أملهم هذا ، و التوفيق بيد الله .

التعليم الدينى للجيل الجديد : بعثت زيارة كلية الالهيات سروراً فى قلبى ، و الحقيقة أن هناك معهدين يعنيان بتعليم الدين ، قسم الترجمة و النشر فى إدارة الأمور الشرعية ، و كلية الالهيات ، وكلاهما يبذلان جهداً فى حقل الدين للجيل التركى الجديد ، وبالرغم من أن هذه الجهود لا تعدو قطرة إزاء سيل الالحاد و التعليم العصرى و لكنها بريق أمل فى الظلام ، و نعمة من الله لا تنكر ، و قد أخبرونى أن المدارس الدينية

الابتدائية فى مختلف المدن ثمانى عشرة مدرسة دينية ، و سع منها مدارس ثانوية ، و ست عشرة مدرسة لتعليم الأئمة و تخريج الخطباء ، ويرجى أن هذا العدد سيتزايد ، و لا شك أن هذه الخطوة التى خطتها الحكومة مهما كانت بواعثها و عواملها تستحق التشجيع و الاستحسان ، نظراً إلى ما كانت عليه تركيا فى الماضى القريب .

صلاة الجمعة فى أنقره : صلينا الجمعة فى جامع بيرم ، و لم نتمكن من إحراز مكان فى داخل الجامع رغم وصولنا إليه قبل البدء فى الخطبة، و لم يزل حشد المصلين يتزايد و يبدو كأنها صلاة العيد ، و كان الشيخ عمر بيلن يلقى موعظة بالتركية قبل بدء الخطبة ، و هو من وعاظ هـذا الجامع و عضو البرلمان ، و قد كان الأتراك ينصتون إلى الوعظ بغاية خشوع و أدب و إجلال ، و لما انتهى الشيخ عمر من إلقاء وعظه قام الأخ العزيز مصطفى وخطب الناس خطبة بدأها بالعربية وختمها بالتركية، غير أن الخطبة بالتركية كانت أطول من العربية ، أما قوله فى الخطبة الأخيرة « لا تواخذنا بما فعل السفهاء منا » فكان بليغاً يحمل فى طيه معنى غزيراً ، و يعبر عن الوضع الصحيح فى تركيا .

العلماء فى الملابس الأفرنجية : و لقيني الشيخ عمر بيلن بعد انتهاء صلاة الجمعة ، فكان يبدو إماما و واعظاً فى ملابس عربية وعمامة عربية، فلما خرج من المسجد إذا هو فى ملابس أفرنجية يرتدى بذلة و قبعة كأنه إنجليزى جاء من أوربا .

أليس من المهازل أن يتمثل العلماء فى الجامع و على المنبر شيوخا، و فى الحياة العادية يبدون كأنهم مستشرقو ألمانيا أو أساتذة كيمبردج

المعمرون .

تغديت اليوم مع الشيخ عمر ، و كان من قصدى أن أزور برلمان تركيا اليوم واتفرج عليه قليلا ، و قد احتفظ لى الشيخ عمر ببطاقتين للدخول فيه، و أردنا أن ندخل البرلمان و نشاهد إجراءات البرلمان من رواق الزائرين غير أن حشد المشاهدين قد حال دون ذلك ، و لم نجد فيه مكاناً شاغراً ، و رجعنا .

نظرة على أنقرة : لقد كان من المقرر أن أغادر أنقره إلى قونية فى الساعة الخامسة و النصف ، و وصلت إلى محطة السيارات فى الموعد، وكان الأخ مصطفى رينون معى ليقوم بتسهيل السفر حسبما تيسر و يودعنى، و هو نفسه من قونيه فأعطانى رسائل التعارف باسم أصدقائه هناك ، و المسافة بين أنقره و قونية ٢٤٥ كيلومتراً ، و الأمل قوى - باذن الله - أن أصل إلى موطن مولانا جلال الدين الرومى حتى الساعة العاشرة ليلا .

أما أنقره فهى مدينة جميلة يناهز عدد سكانها نصف مليون نفس، و كثيراً ما يشبه فى العمران و سعة الارجاء بمدينة لكهنؤ (فى الهند) ، إن المبانى الجديدة ذات روعة وجمال ، و الدوائر الرسمية كشأنها فى دولة كبيرة ، و لكن مبنى البرلمان قديم ومتواضع ، و البناية الجديدة للبرلمان لا تزال فى دور التعمير و البناء ، و هى لا شك بناية ضخمة على طراز جديد و تحمل من الروعة و الجمال شيئاً كثيراً ، إن تاريخ هذه المدينة ترجع إلى ماض سحيق ، فقد ظلت مدينة مركزية كبيرة فى عهد الروم ، ولا تزال للعهد الرومانى بقايا وأطلال من العمارات القديمة والكنائس ، و عندما جاء الشاعر العربى الجاهلى امرؤ القيس للاستعانة من ملك الروم

توجه نحو هذه المدنية و مات على مقربة منها .

إن أنقره بالعكس من استنبول تقع فى مناطق أناطولية التى تحتل مكانة مركزية للقوة و المدنية فى تركيا ، و بمعزل عن مؤامرات أوربا التى تحيك خيوطها فى الظلام ، كما هى مصونة عن تأثير استنبول و تقاليدها و لعل ذلك هو السبب فى انتقال العاصمة منها إليها .

مع الدكتور على كمال فى قونيه : الثلاثاء ١٣ من ذى القعدة ١٣٧٥ المصادف ٢٣ يونيو ١٩٥٦ م .

وصلت السيارة إلى قونية بعد العاشرة والنصف ليلا ، و قد حصل لى تعارف مع بعض الرفاق فى السفر فجاؤا بى إلى فندق يدعى بـ «شهير پالاس» ، و أنزلونى فيه ، و الفندق نظيف و رخيص أيضاً ، و قد قال لى شاب منهم : إن والدى سيتصل بكم صباحا و يرافقكم فى زيارة الآثار التاريخية و الشخصيات البارزة هنا .

وصل الحاج أحمد پرنغ والد الشاب فى الصباح الباكر حسب ما وعدنى ، و هو يقدر على التكلم بعربية ضعيفة متكسرة . فزرت معه أولا الدكتور على كمال وكانت معى رسالة باسمه من صديقه مصطفى رضا حملتها من أنقره ، فرحب بى بحرارة و حماس ، و لما رأى كلمة « الندوى » فى الرسالة سألنى عن صلتى بالعلامة السيد سليمان الندوى ، فقلت له إنه أستاذى ، و سألته ، كيف عرفتموه أنتم ؟ فقال عن طريق كتابه «عصر سعادت» ، ثم طلب منى أن أتعشى معه ، و اعتذرت إليه و لكنه ألح و أبى إلا أن أتعشى معه اليوم ، و نظراً إلى كرم خلقه قبلت طلبه .

إلى جامع السلطان سليم ومكتبته : و استأذنت الدكتور على كمال

و توجهت إلى جامع السلطان سليم مع الحاج أحمد ، و الجامع من عمل معمار تركيا المعروف بسنان، ومبنى الجامع فى غاية من الجمال و الروعة لاتفارقهما السذاجة ، أما محراب الجامع فجميل و مبنى من الحجارة الثمينة ، التى تحمل زخرفة جيدة .

و تتصل بالجامع مكتبة منظمة تحوى عدداً كبيراً من الكتب ، و معظمه من كتب العصر الحديث ، و ظهر لى من القائمة أن مقداراً كبيراً من ذخائر الفكر الاسلامى و العلوم الحديثة كان قد انتقل إلى التركية ، و قد سائنى و آلمنى أن هذه الذخيرة الكبرى ستذهب سدى من جراء تغيير الحروف التركية و خطها ، و لا شك أن بلاداً تقع فريسة هذه البدعة يتعطل تراثها العلمى القديم وذخائر الفكر التى جمعت فى قرون و أجيال للجيل الجديد .

و قد دام أثر هذه الكآبة و النغص على قلبى لمدة من الزمان ، و هنا اطلعت على مجموعة شعر للشاعر التركى الكبير محمد عاكف باسم «صفحات» و هى تتضمن أجزاء عدة ، و يضارع الشاعر محمد عاكف فى تركيا بالشاعر محمد إقبال فى الهند و باكستان ، ويدانيه فى التفكير و الأسلوب .

﴿يتبع﴾

● و وحدة الأمة بمعنى منع الأحزاب لا تتنافى مع روح الشورى كما أن كثرة الأحزاب ليست دليلا على الديمقراطية السليمة ، بل ربما على الفوضى السياسية ، واللاحزبية هذه لاتعنى ديكتاتورية الحكم أوشل النشاط و العمل السياسى ، إذ أن الاسلام لايعارض قيام تكتلات جماعية فى مختلف الميادين السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، بل على العكس يوجبها فى صيغة أمر و إلزام (ولتكن منكم أمة ـ طائفة جماعة ـ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر)

دراسات وأبحاث

بدوى

(٢) النظرية السياسية فى الاسلام

الأستاذ على ضناوى
محامى طرابلس (لبنان)

المقومة الثالثة : الحرية و العمل السياسى .

نعنى بالحرية السياسية كون الفرد حراً، من حيث الفكر و الرأى و السلوك السياسى ، و من الوسائل المشجعة لاستعمال هذه الحرية التوعية السياسية * * و التوعية عملية فكرية تربوية تفرضها الشريعة و تتكفلها برامج التربية وفق مناهج الاصلاح الاجتماعى والسياسى (الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و التعاون على الخير) و على صعيد قوله ﷺ (من بات و لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ، و الحرية بعد ذلك مصونة و فى حمى الشرع و يعاقب من يعتدى عليها أو يسيئ استعمالها * * وتتجلى هذه الحرية فى النواحى التالية :

أولا : انتخاب أجهزة الدولة وخاصة الرئاسة الأولى و مبايعة الرئيس .

ثانياً : نقد الحكام و المسوؤلين(١) ورفض طاعتهم فى المعاصى(٢) .

---

(١) روى عنه ﷺ أنه قال (الساكت عن الحق شيطان أخرس) و (سيد الشهداء حمزة و رجل قام إلى امام جائر فأمره ونهاه فقتله) و قنوت المسلم فى وتره (و نخلع و نترك من يفجرك) هذا و لما بويع أبوبكر أكد للبايعين حقهم فى ممارسة النقد البناء فقال (إن رأيتمونى على حق فأعينونى و إن رأيتمونى على باطل فسددونى) أما عمر رضى الله ★

ثالثاً : التظلم إلى محاكم عليا فى الدولة من تجاوز من المسوؤلين و الرسميين حدودهم المشروعة (٣)

رابعاً : التصويت فى الاستفتاءات العامة (٤)

يقول المرحوم الدكتور السباعى (إن الاسلام قد كفل الحرية السياسية للامة بطريقة تبقى على الأمة حريتها الكريمة، وتحفظ للدولة قيامها بواجباتها نحو الأمة فى جو من الحزم و الجد و وضع الأمور فى مواضعها (٥) .

و من حقنا أن نتسأل عن جماعية هذه الحرية أو بمعنى أدق عن العمل السياسى و عن طبيعته و أبعاده ؟

لقد اعتاد الناس على رؤية العمل السياسى مركوزاً فى أحزاب مختلفة الأهواء و المشارب و الحزب عادة ، و فى واقع الأمر تكتل على

★ عنه فقد أجاب معترض النقد (لا خير فيكم إن لم تقولوها و لا خير فينا إن لم نسمعها) و قصص النقد أكثر من أن تحصى .

(٢) لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

(٣) تمثل على ذلك بقصة الامام على مع اليهودى وبقصة المصرى مع عمر بن عبد العزيز و بقصة القاضى شريك مع أمير البصرة .

(٤) إن الأساس التشريعى للاستفتاء آيات الشورى و أقواله ﷺ (اتبعوا السواد الأعظم) (عليكم بالجماعة و العامة) (أمتى لا تجتمع على ضلالة)

(٥) اشتراكية الاسلام

هدف يبدأ بالدعوى إلى المنهج والفكرة ، وينتقل إلى التجمع وينتهى إلى محاولة السيطرة على الحكم ، سواء كان الحكم غاية أو وسيلة .

والاسلام بنظريته السياسية حزب ، له منهجه ورسالته و له أنصاره المؤمنون به ، و يطلب الحكم كوسيلة رئيسية لتطبيق مخطط اقامة شرعه و كل من آمن به عضو فى هذا الحزب بصرف النظر عن جنسه ولونه ، و الله سبحانه يعبر عن هذا أوضح تعبير (و من يتولى الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)

و على اعتبار أن المسلمين حزب واحد فلا مجال لتعدد الأحزاب، ذلك أن الأحزاب لن تكون إلا أحد نوعين ، أحزاب إسلامية توحدها دعوة الاسلام ، أو أحزاب علمانية لا يسمح بها لكونها تخالف عقيدة الأمة و النظام العام .

و وحدة الأمة بمعنى منع الأحزاب لا تتنافى مع روح الشورى كما أن كثرة الأحزاب ليست دليلا على الديمقراطية السليمة ، بل ربما على الفوضى السياسية ، واللاحزبية هذه لاتعنى ديكتاتورية الحكم أوشل النشاط والعمل السياسى ، إذ أن الاسلام لايعارض قيام تكتلات جماعية فى مختلف الميادين السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، بل على العكس يوجبها فى صيغة أمر و إلزام ولتكن منكم أمة ـ طائفة جماعة ـ يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر)

و مرافق الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كل مجالات الحياة .

وهنا لابد لنا من التمييز و التفريق بين الجماعة السياسية والحزب ، فهما يختلفان و يتغايران من حيث المنطق و الهدف .

فالحزب كما رأينا يعمل للسيطرة على الحكم و يعارض فى كثير من الأحيان للمعارضة بذاتها أو لكسب الأنصار و الأتباع .

أما الجماعة السياسية الاسلامية فانها لا تستهدف الحكم لا غاية ولا وسيلة ، فمبادئها مطبقة و منفذة و (طالب الولاية لا يولى) لهذا ينحصر عملها الحقيق بالتوعية السياسية ، التى نوهنا عنها أعلاه بمعنى أن الجماعة السياسية تجسد الحرية السياسية التى منحها الاسلام للافراد بعمل جماعى منظم مشروع .

و هناك فارق آخر أيضاً و هو أن الحزب يخوض فيما يخوض أغمار الميادين الاجتماعية و الاقتصادية و كثيراً ما سخرت الأحزاب الأحداث الاجتماعية فى سبيل مآربها السياسية أو نزعاتها الزعامية ، أما هنا فالجماعة السياسية لاعلاقة لها مباشرة فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، إذ أن هناك جماعات أخرى تعنى بها كما أسلفنا .

و هذا التركيز الجماعى للعمل السياسى يجنبنا مساوى الأحزاب و يسمح لنا بجنى حسناتها وفوائدها كمنع انحراف الحكام والحد من طغيانهم و استبدادهم و السير بالأمة نحو الأهداف العليا فى رسالتها الخالدة .

المقومة الرابعة الوحدة السياسية :

قسم الفقهاء العالم إلى قسمين لا ثالث لهما :

الأول مايشمل كل البلاد التى تظهر فيها أحكام الاسلام أو يستطاع ذلك و يسمى دار الاسلام .

الثانى ويشمل كل البلاد غير الاسلامية التى لا تدخل تحت سلطان المسلمين .

و قد يظن البعض أن تقسيم العالم إلى دارين يقتضى أن تكون البلاد الاسلامية جميعاً تحت حكم دولة واحدة ، و ربما توهم آخرون بحتمية وحدة البلاد الأجنبية، وهو ظن كما ترى لا يتمتع بأساس تشريعى سليم ولا يأتلف مع الواقع الحياتى و الحضارى للعالم، ولا يرد على ذلك بوحدة الأنظمة الاسلامية، إذ أن النظريات الاسلامية لم توضع على أساس أن تكون البلاد الاسلامية محكومة بحكومة واحدة، و إنما وضعت على أساس ما يقتضيه الاسلام (والاسلام يقتضى أن يكون المسلمون فى كل أبقاع الأرض يداً واحدة يتجهون اتجاهاً واحداً وتسوسهم سياسة واحدة وليست الحكومة الواحدة هى الصورة الوحيدة التى تحقق أهداف الاسلام، لأن هذه الأهداف يمكن أن تتحقق مع قيام دول متعددة فى دار الاسلام (١) وانطلاقا من هذا المبدء نقول إن السياسة الواحدة لاتحتم قيام دولة مركزية واحدة بل تفرض رسم خط سياسى واحد تلتزمه مجموعات المسلمين، سواء كانت هذه المجموعات فى دولة اتحادية أو جامعة إسلامية .

و نضيف هنا إلى حتمية السياسية الواحدة التى يفرضها الاسلام ، وجود المشكلات المتقاربة التى تواجهها البلاد الاسلامية و التى تتطلب حلا واحداً ، فاذا ما التقت الحتمية بالضرورة أمكن رسم خط سياسى واحد يقوى الرابطة الانسانية و يسعى لاسعاد العالم و تحرير المستضعفين .

---

(١) التشريع الجنائى فى الاسلام، للاستاذ عبد القادر عوده الصفحة ٢٧ و ما يليها .

الربانيـة : أصل الدين و سمـة المسلمين

رغم أنف « التقدميين » و « المتفرنجين »

والاشتراكيين الثوريين

فضيلة الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمى

من القطعيات التى لا يستطيع أحد ممن له المام بالكتاب و السنة ، و فى قلبه شئ من نور الايمان أن يجحدها أن الحياة إنما هى حياة الآخرة ، كما قال تعالى الله : « و إن الدار الآخرة لهى الحيوان » (العنكبوت : ٦٤) و أما الحياة الدنيا فكما قال الله تعالى : « و ما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع » (الرعد : ٢٦) و قال : « فامتاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » (التوبة : ٣٨) فقضية العقل أن يؤثر الانسان حياة الآخرة و طيبها على الحياة الدنيا و رغادة عيشها ، ولكن الانسان يفتتن بزهرتها و نضارتها و لا يكتفى بالقدر المحتاج إليه منها فى قضاء حوائجه و صلاح بدنه فيركن إليها بكليته ، و يذهل عن الآخرة ، و ذلك لما فى طبع الانسان من حب الشهوات و إيثار العاجل على الآجل ، قال الله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسومة و الأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، و الله عنده حسن المآب » (آل عمران :) و قال جل ذكره : كلا بل تحبون العاجلة و تذرون الآخرة (القيامة :)

فلا جرم أن اقتضت الحكمة الالهية ردع عباده عن الاسترسال فى شهواتهم و إرشادهم إلى ما فيه خيرهم فأكثر من ذم الدنيا و عيبها ، و شرح ما لها من سرعة زوالها واضمحلالها ، والمقارنة بينها وبين الآخرة ، و لو ذهبنا نستقصى جميع ما ورد فى كتاب الله تعالى من هذا الباب لطال الكلام ، و سنتلو عليك بعضه فى ضمن كلام لابن القيم ، و المقصود من هذه الآيات كلها حث العباد على الزهد فى الدنيا ، و الزجر عن التشاغل بها إلى حد يفضى إلى إهمال الآخرة و التوانى فى طلبها ، قال الامام الغزالى : الآيات الواردة فى ذم الدنيا و أمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا و صرف الخلق عنها ، و دعوتهم إلى الآخرة ، بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و لم يبعثوا إلا لذلك ، فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها (١)

ما هى الدنيا المذمومة والمامور بالزهد فيها ؟ وربما يختلج فى صدرك أنه لما كانت الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ فما معنى ذمها ، و الحث على الزهد فيها ؟ فهذا السؤال قد أجاب عنه الغزالى بكلام مشبع ، و وافقه عليه ابن الجوزى و لخصه فى منهاج القاصدين ، و اختصره أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى فقال :

قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقاً ، فاعتقدوا أن الاشارة إلى هذه الموجودات التى خلقت للنافع ، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم و المشارب .

و قد وضع الله فى الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها ، فكلما

(1) احياء العلوم (139/3)

تاقت منعوها ، ظناً منهم أن هذا هو الزهد المراد ، وجهلا بحقوق النفس و على هذا أكثر المتزهدين ، و إنما فعلوا ذلك لقلة العلم ، و نحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول :

إعـلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ ، و هى الأرض و ما عليها ، فان الأرض مسكن الآدمى ، و ما عليها ملبس و مطعم ، و مشرب ، و منكح ، و كل ذلك علف لراحـلة بدنه السائر إلى الله عزوجل ، فانه لا يبقى إلا بهذه المصالح ، كما لا تبقى الناقـة فى طريق الحج إلا بما يصلحها ، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مدح ، و من أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره ، وقع فى الذم ، فانه ليس للشره فى تناول الدنيا وجه ، لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى و يشغل عن طلب الأخرى ، فيفوت المقصود ، و يصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة و يرد لها المـاء ، و يغير عليها ألوان الثياب ، و ينسى أن الرفقة قد سارت ، فانه يبقى فى البادية فريسة للسباع هو وناقته .

و لا وجه أيضاً للتقصير فى تناول الحاجة ، لأن الناقـة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها ، فالطريق السليم هى الوسطى ، و هى أن يوخذ من الدنيا قدر ما يحتـاج إليه من الزاد للسلوك ، و إن كان مشتهى ، فان إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها ، و قضاء لحقها .

و قد كان سفيان الثورى يأكل فى أوقات من طيب الطعـام ، و يحمل معه فى السفر الفالوذج .

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات فى بعض الأوقات ، ويقول : إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال .

و لينظر فى سيرة رسول الله ﷺ و صحابتـه ، فانهم ما كان لهم إفراط فى تناول الدنيا ، و لا تفريط فى حقوق النفس .

وينبغى أن يتلمح حظ النفس فى المشتهى ، فان كان فى حظها حفظها و ما يقيمها و يصلحها و يبسطها للخير ، فلا يمنعها منه ، و إن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحهـا المذكورة ، فذلك حظ مذموم ، و الزهد فيه يكون (١) .

و قال الغزالى : و إنما الناجى منها فرقة واحدة و هى السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ و أصحابه ، و هو أن لا يترك الدنيا بالكلية ، و لا يقمع الشهوات بالكلية ، أما الدنيا فيأخذ منهـا قدر الزاد ، و أما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع و العقل ، و لا يتبع كل شهوة ، ولايترك كل شهوة ، بل يتبع العدل ، ولايترك كل شئ من الدنيا ، ولايطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ، و من المسكن مايحفظ عن اللصوص والحر والبرد ، ومن الكسوة كذلك (٢) .

و قد يظن قوم ممن لم يفقهوا الاسلام حق فهمه أن الزهد ليس من مقاصد الاسلام ، و لا مما حث عليه الكتاب و السنة ، بل هو من مخترعات الصوفية و مستحسناتهم ، و لو لم يكن فى كتاب الله قوله تعالى : و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، و رزق ربك خير و أبقى » (٣)

---

(1) مختصر منهاج القاصدين (210) (2) احياء العلوم (160/3)
(3) طـه 131

و قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعكن و أسرحكن سراحا جميلا » (١)

و فى حديث النبى ﷺ قوله : ما لى و للدنيا ، إنما أنا كراكب قال فى ظل شجرة ثم راح و تركها ، لكفى بهما تكذيباً لهذا الظن الفاسد، و تفنيداً لهذا الرأى الكاسد .

و للعلامة الحافظ ابن القيم الحنبلى كلام متين فى تحقيق هذه المسألة فلنورد عليك بعضه ، قال ابن القيم فى طريق الهجرتين :

إن الزهد على أربعة أقسام ، (أحدها) فرض على كل مسلم وهو الزهد فى الحرام، وهذا متى أخل به انعقد سبب العقاب فلابد من وجود مسببه ما لم ينعقد سبب آخر يضاده .

﴿ قلت : و يدخل فى الحرام ما هو حرام لعينه ، و ما هو حرام لعارض كالبيع عند أذان الله الجمعة ، فان الزهد فى الربح المتوقع من البيع فى ذلك الحين فرض ، لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع، (٢) و كل حرفة يحترف بها المرء فى حكم البيع ، و كذلك ليس الحكم مقتصراً على البيع عند أذان الجمعة ، بل كل عمل يكون مانعاً عن أداء الفرض الشرعى كان الاعراض عنه و الزهد فيه واجباً ﴾ (الأعظمى)

(الثانى) زهد مستحب ، و هو على درجات فى الاستحباب بحسب المزهود فيه ، و هو الزهد فى المكروه و فضول المباحات و التفنن فى الشهوات المباحة

(1) الأحزاب : 28 (2) الجمعة :

(الثالث) : زهد الداخلين فى هذا الشأن ، و هم المشمرون فى السير إلى الله و هو نوعان :

(أحدهما) الزهد فى الدنيا جملة ، و ليس المراد تخليها من اليد ولا إخراجها و قعوده صفراً منها ، و إنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية ، فلا يلتفت إليها و لا يدعها تساكن قلبه و إن كانت فى يده ، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك و هى فى قلبك ، و إنما الزهد أن تتركها من قبلك و هى فى يدك ، و هذا كحال الخلفاء الراشدين و عمر بن عبد العزيز الذى يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، و لا يزيده ذلك إلا زهداً فيها ، و من هذا الأثر المشهور و قد روى مرفوعا و موقوفا « ليس الزهد فى الدنيا بتحريم الحلال ، و لا إضاعة المال ، و لكن الزهد فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك، و أن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك ، و الذى يصح هذا الزهد ثلاثة أشياء .

(أحدها) علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر، و أنها كما قال الله تعالى فيها : « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الأموال و الأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما » (١) و قال الله تعالى : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس و

(1) سورة الحديد : 20

الأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و أزينت و ظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (١) و قال الله تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدراً» (٢) و سماها سبحانه « متاع الغرور و نهى عن الاغترار بها ، و أخبرنا عن سوء عاقبة المغترين ، وحذرنا مثل مصارعهم و ذم من رضى بها واطمأن إليها ، و قال النبى ﷺ : « ما لى و للدنيا ، إنما أنا كراكب قال فى ظل شجرة ثم راح و تركها » و فى المسند عنه ﷺ حديث معناه ، إن الله جعل طعام ابن آدم و ما خرج منه مثلا للدنيا فانه و إن فوحه وملحه فلينظر إلى ماذا يصير ، فما اغتر بها و لا سكن إليها إلا ذوهمة دنية ، وعقل حقير ، و قدر خسيس .

(الثانى) علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدراً ، و أجل خطراً و هى دار البقاء ، و إن نسبتها إليها كما قال النبى ﷺ : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم ، فلينظر بم يرجع » فالزاهد فيها بمنزلة رجل فى يده درهم زغل قيل له : إطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلا ، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها .

(الثالث) معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها، و أن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها ، فمتى تيقن ذلك و صار له

(1) يونس : 24 (2) الكهف : 45

به علم يقين هان عليه الزهد فيها، فانه متى تيقن ذلك وثلج له صدره و علم أن مضمونه منها سيأتيه بقى حرصه وتعبه وكده ضائعاً ، و العاقل لا يرضى لنفسه بذلك ، فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها، و تثبت قدمه فى مقامه ، و الله الموفق لمن يشاء .

(النوع الثانى) (١) الزهد فى نفسك و هو أصعب الأقسام وأشقها وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجوه، وجميع مراتب الزهد المتقدمة مباد و وسائل لهذه المرتبة ، و لكن لا يصح إلا بتلك المراتب ، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعن متمن كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سلم ، قال بعض السلف : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فمن ضيع الأصول حرم الوصول ، و إذا عرف هذا فكيف يدعى أن الزهد من منازل العوام ، وأنه نقص فى طريق الخاصة و هل الكمال إلا فى الزهد ؟ و ما النقص إلا فى نقصانه ، و الله الموفق للصواب (٢)

و قال ابن قدامة المذكور سابقاً ملخصاً كلام ابن الجوزى :

إعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ إلى ما هو خير منه ، و شرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه ، فمن رغب عن شئ ليس مرغوباً فيه و لا مطلوباً فى نفسه لم يسم زهداً ، كمن ترك التراب لا يسمى زاهداً .

(1) من نوعى زهد المشمرين فى السير الى الله
(2) طريق الهجرتين من ص 251 الى 254

و اعلم أنه ليس من الزهد ترك المال ، و بذله على سبيل السخاء و القوة ، و استمالة القلوب ، و إنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة .

و من عرف أن الدنيا كالثلج يذوب ، و الآخرة كالدر يبقى قويت رغبته فى بيع هذه بهذه ، و قد دل على ذلك قوله تعالى : « قل متاع الدنيا قليل و الآخرة خير لمن اتقى » (١) و قوله : « ما عندكم ينفد و ما عند الله باق » (٢)

و من فضيلة الزهد قوله تعالى : « و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » (٣)

و قال النبى ﷺ : من أصبح وهمه الدنيا ، شتت الله عليه أمره و فرق عليه ضيعته ، و جعل فقره بين عينيه ، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، و من أصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه ، و حفظ عليه ضيعته ، و جعل غناه فى قلبه ، و أتته الدنيا و هى راغمة .

و قال الحسن : يحشر الناس عراة ما خلا أهل الزهد ، و قال : إن أقواما أكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب فأهنوها ، فأهناً ما تكون إذا أهنتموها .

و قال الفضيل : جعل الشر كله فى بيت ، و جعل مفتاحه حب الدنيا ، و جعل الخير كله فى بيت و جعل مفتاحه الزهد فى الدنيا .

يتبع

(1) النساء : 77 (2) النحل : 96
(3) طه 131

● الفقه الاسلامى فقه حى مساير للزمن ـ معاذ الله ـ بل إنه سابق للزمن و إمام الزمن ، أبعاده غير أبعاد القوانين الأرضية الوضعية ، و منبعه غير منبعها ، فهو يختلف عنها فى الغاية والوسيلة ، والصورة و الحقيقة .

● إنه كنز لم يفتح إلا شطره الأول ولا يزال شطره الثانى يحمل من عجائب حكمة الله و أسراره البالغة ما يأخذ بالألباب .

● إنه يراعى نفسية البشر و خلجات النفس الانسانية و يدرك مساربها الخفية ومخابئها المستورة ، ويسعف الانسان فى كل صغير وكبير بنور واضح مبين ، ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير »

الفقه الإسلامى

نظرة على تاريخ تدوين الفقه الاسلامى

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
(معرب)

قد يورد فئة من الناس بشبهة حول تدوين الفقه الاسلامى ، و يقولون إن التاريخ الاسلامى لم يعرف جهوداً - تستحق الذكر - فى حقل تدوين الفقه الاسلامى ، ولذلك فان فكرة تدوين الفقه الاسلامى فكرة حديثة لا صلة لها بالماضى .

و لكننى لا أعير لهذه الشبهة أهمية ، فان التاريخ الاسلامى لايخلو عن جهود ومحاولات - فى أزمنة مختلفة - فى مجال تدوين الفقه الاسلامى، فالمعلوم لدى الجميع أن الصحابة الكرام هم أول من قاموا بجمع القرآن فى مصحف واحد ، و أن عثمان رضى الله عنه بعث عدة نسخ منه فى سنة ٣٠ هـ إلى أقطار إسلامية عديدة ، و منذ ذلك الحين بدىء تدوين أبواب الفقه الاسلامى المختلفة فى صور الأحاديث جزءاً فجزءاً ، و فى بداية القرن الثانى أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أبا بكر بن حزم بتدوين الأحاديث .

و لم يكن هناك خلاف فى الأحكام الفقهية إذ ذاك فلم يشعروا بالحاجة إلى تدوين الأحكام الفقهية ، و لما اتسع نطاق الأمة و كثرت الأحوال و استجدت الأحكام استرعى ذلك انتباه العلماء إلى تدوينها ،

و أول من استلفت نظر الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور إلى تدوين الفقه الاسلامى هو عبد الله بن المقفع ، فطلب أبو جعفر و الرشيد إلى الامام مالك بن أنس تدوين الفقه ولكنه لم ير من المصلحة أن يقوم بهذا العمل الكبير وحده . و يعتبر ذلك قانوناً للدولة الاسلامية .

فان كان أمر الخلافة يومئذ شورى بينهم ، و قامت بتدوين الفقه الاسلامى جماعة تمتعت بمركز الاجتهاد و التفقه فى الدين و كانت موضع ثقة لدى المسلمين ، و وثق الامام مالك بأن أرباب الحكم و أصحاب الخلافة سينفذون ذلك بالاجماع و التائيد ، لا بأمر الخليفة فقط ، لتم هذا العمل - فيما أظن - باشرافه فى ذلك العهد ، و لكن الأمر تمثل أمامه بشكل لم يكن يتمكن فيه من قبول مسؤليته على نفسه .

و ظهرت فى القرن الحادى عشر جهود ذات قيمة و أهمية فى مجال تدوين الفقه الاسلامى بأمر من الملك أورنك زيب عالمگير فى الهند ، إنه كون لجنة من كبار العلماء ، و فوض إليهم القيام بتدوين كتاب يحتوى على الفتاوى التى أجمع عليها العلماء الموثوق بهم ، وجمع فيه نوادر الأحكام التى اتخذها العلماء كمصادر للفقه ، و وضعوا الكتاب المعروف بالفتاوى الهندية امتثالا لأمر الملك ، و هو فى ستة مجلدات كبار و يحتوى على العبادات و المعاملات شأن كتب الفقه ، و بالرغم من أن هذا الكتاب يعد فى طليعة مصادر الفقه الحنفى و لكنه لم يدون على الطراز الحديث مثل ما تدون القوانين فى هذا العصر ، كما أنه لم ينفذ ككتاب القانون الرسمى فى المجتمع

مجلة الأحكام العدلية : و تلتها جهود الدولة العثمانية فى مجال تدوين

الفقة الاسلامى : فقد كونت الدولة لجنة تألفت من سبعة علماء وعرضت عليهم حاجة وضع كتاب حول الفقة الاسلامى مدون فى شكل القوانين لتسنى الاستفادة منها ، و يكون بمعزل عن الخلافيات و يتضمن جميع الأقوال المختارة ، و يمكن لكل شخص أن يراجعه بكل سهولة .

و قدمت اللجنة تقريراً حول ضرورة تدوين الفقه فى محرم (سنة ١٢٨٦هـ و ١٨٧٩م) إلى الرئيس عالى پاشا ، جاء فيه ما يلى :

« إن الفقه الاسلامى بحر لا ساحل له ، و هو يتطلب فى استخراج الأحكام الضرورية و حل المشكلات دقة النظر وقوة الملكة ، ولا سيما الفقه الحنفى فانه واسع إلى حد لا نهاية له ، فقد نشأ فيه فى كل عصر كبار المجتهدين و لذلك كثرت فيه الخلافيات ، و لما أن يد التنقيح و التطهير لم تمس الفقه الحنفى بالعكس من الفقه الشافعى ظلت الأحكام المختلف فيها على حالها ، و ذلك ما جعل استخراج الأحكام الصحيحة من بين الخلافيات والمتناقضات وتطبيقها على الظروف السائدة جد صعب، و بصرف النظر عن ذلك يجب أن لا ننسى أن الأحكام التى تبنى على العادة و التقاليد تتغير بتغير الظروف و الأحوال .

و بناءاً على ما ذكر أعلاه بدأت اللجنة فى عمل تدوين الفقه الاسلامى الذى تم فى سنة (١٢٩٣هـ) و صدر مرسوم ملكى لتنفيذه ، باسم مجلة الأحكام العدلية .

و يحسن بنا بهذه المناسبة أن نشير إلى بعض الجوانب المهمة لهذه المجلة تبييناً لأهميتها و قيمتها :

إن هذه المجلة تحتوى على ١٨٥١ مادة تتضمنها مقدمة و سبعة عشر

بابا ، و المقدمة تضم ١٠٠ مادة ذكر فيها أصول الفقه و مبادؤها بعد تعريف الفقه و تقسيمه ، ثم تحتوى على ١٧ بابا بالترتيب الآتى :

كتاب البيوع ، كتاب الاجارات ، كتاب الكفالة ، كتاب الحوالة ، كتاب الرهن ، كتاب الأمانات ، كتاب الهبة ، كتاب الغصب والاتلاف ، كتاب الحجر و الاكراه ، كتاب الشفعة ، كتاب الشكاة ، كتاب الوكالة ، كتاب الصلح و الابراء ، كتاب الاقرار ، كتاب الدعوى ، كتاب البينات و التحليف ، كتاب القضاء .

أما مصادر المجلة فهى كتب الفقه الحنفى المتفق عليها ، فان كان فيها حكم وردت فيه عدة أقوال للامام أبى حنيفة رحمه الله و أصحابه أخذ ما يتفق حاجة العصر و المصلحة العامة ، و بناء على هذا المبدء لم يكتفوا بترجيح أقوال الامام محمد و أبى يوسف على قول الامام الأعظم فى بعض الأحكام فقط بل و قد رجحوا فى بعض الأحوال أقوال المتأخرين من الفقهاء على أقوال المتقدمين منهم ، ولم يروا بأساً إذا وافقت المذهب الشافعى أيضاً .

ونظرة على أبواب المجلة المذكورة أعلاه تبين أنها لاتحوى القوانين و التعزيرات على عكس الفتاوى الهندية و كتب الفقه الحنفى الكبيرة ، كما أنها لاتحوى القوانين التى تتصل بالأحوال الشخصية ، كالنكاح ، والطلاق و النفقة ، و النسب و الولاية ، و الوصايا و الرضاعة و ما إلى ذلك ، وعدا ذلك فانها لاتتضمن قوانين الوراثة ، ومفقود الخبر ، والاوقاف، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أنهم نووا إنجاز هذا المشروع بالتدريج، و يؤيد هذا الظن أن الحكومة أصدرت قانوناً فى سنة ١٩١٧ م حول

النكاح و الطلاق باسم القانون العائلى .

و يمتاز هذا القانون بأن أدخل فيه شئ كثير من فقـــه المذاهب الأخرى على أنه كان مؤسساً على الفقه الحنفى فى الحقيقة الذى كان مذهب الدولة الرسمى ، وذلك لكى يتسنى توفيقه مع أحوال العصر و مشـــكلاته و ظروفـــه .

إن العصر الذى تم فيه تدوين هذه المجلة سادت فيه اتجاهات نحو تدوين الفقه الاسلامى فى جميع الأقطار العربية ، و لذلك فان المجلة لم تنفذ فى تركيا فقط و إنما نالت قبولا فى جميع الدول العربية التى كانت تحت سيطرة تركيا آنذاك ، و ظلت نافذة كقانون الدولة فى جميع تلك الدول حتى الحرب العالمية الأولى ، و لكنها أقصيت بعد الحرب من تركيا قبل كل بلد ، و احتل مكانها قانون سويسرا و ألمانيا و إيطالـــيا ، ثم قضى عليها فى لبنان و ألبانيا ، و لكن لا تزال فى بعض المناطق الاسلامية و الدول العربية بقايا و آثار لقانون المجلة .

و قد ألفت فى سنة ١٩٣٦م لجنة لتدوين قانون المحاكم على أساس الفقه الاسلامى فى العراق غير أن جهودها لم تثمر فى هذا المجال - فيما أظن - و كانت اللجنة تهدف تدوين هذا القانون بأسلوب يحقق حاجات العصر مـــع استيفائه حق الاسلام ، و كانت اللجنة قد استخدمت لهذا الغرض خبيراً قانونياً من مصر و أتمت عملها فى سنة ١٩٤٢م ، و لكن لم ندر ماذا حدث بعد ذلك ، هل بقى هذا القانون حبراً على ورق أم نال تنفيذاً فى البلاد .

تدوين الفقه الاسلامى فى مصر : لم تزل مصر مركزاً كبيراً للمذهب

الشافعى من بدايتها ، و ظل هـــذا المذهب يلعب دوره إلى عهد الدولة الاسماعيلية و فى الدولة الأيوبية ، فقد بقى ذلك هو المذهب المعمول به بتغيير يسير ، أما فى عهد الدولة التركية فقد نال المذهب الحنفى قبولا فى المحاكم ، و لا يزال الأمر على ذلك إلى حد كبير .

لقد بدأت فى مصر جهود فى مجال تدوين الفقه والتشريع ، من العهد التركى غير أنها لم تقم على أساس إسلامى بحت فلا نذكرها هنـا ، اللهم إلا ما قام به محمد قدرى باشا بايعاز من الحكومة المصرية من تدوين قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين فى ضوء الفقه الحنفى ، و يضم هذا القانون ٤٦٧ مادة و يحتوى على قوانين النكاح و الطلاق و النسب ، و الولاية و الهبة و الوراثة و الوصـــية و ما إلى ذلك ، و تتبعها المحاكم المصرية فى قضائها .

ثم تألفت لجنة كان يرأسها المغفور له الشيخ مراغى وكان من أعضائها مفتى الديار المصرية الشيخ عبد المجيد سليم ورئيس القضاة الشيخ فتح الله سليمان ، و استهدفت هذه اللجنة تدوين القوانين الشخصية للمسلمين بأسلوب جديد ، دون أن يتقيد ذلك بمذهب خاص بل ويستفيد من جميع المذاهب الفقهية فى الاسلام .

و نرى أن فى مصر اليوم صراعا بين أنصار الدين و معارضـــيه ، و ذلك لأن المعارضين يقولون : إن القانون فى تدوينه أو تأليفه لايحتاج أبداً إلى شريعة يعتمد عليهـا ، بل و يجب أن يستغنى ذلك عن الدين و الشريعة بتاتاً ، ولا ينبغى إتاحه الفرص لدخل الدين فى مثل هذه الأمور ، ويرد عليهم أنصار الدين فيقولون : لابأس بصوغ القوانين صياغة جديدة

فى ضوء الشريعة والتشريع الاسلامى حتى تنطبق على المشكلات المستحدثة العصرية و المسائل المستجدة ، غير أنها لا تحيد عن منابع الشريعة الأصيلة و تقوم على أساس الدين البحت ، فاننا لا نسمح لأى شريعة أو فلسفة أن تحتل مكان الشريعة الاسلامية السمحة .

و من المستغرب العجيب أن النزعة القومية تؤيد الاتجاهين فى حين واحد ، وهى التى تتجلى فى معارضة الدين وموافقته ، و ما رفض الخديو اسماعيل باشا مجلة الأحكام العدلية التى أشرفت على وضعها الحكومة التركية إلا لأجل أنها كانت تذكار عهد الأتراك و من بقايا حكمهم ، فان حميته القومية لم ترض بقبول ما وضعه الأتراك مهما كان ذلك عين الدين فانه بدلا من أن يتبنى المجلة و يتخذها قانون الدولة أمر الشيخ مخلوف ميناوى بتدوين قانون جديد للدولة المصرية مستخرج من قانون نابليون و الفقه المالكى بحيث يوفق بينهما و يستخرج منهما قانوناً وسطاً، و بذل الشيخ ميناوى جهداً كبيراً و استطاع أن يقدم قانوناً مدوناً أمام الدولة و لكنه واجه إنكاراً من جميع الطبقات فى مصر و قيل إنه قانون مستورد من الخارج .

و من الغريب أن سبب الخلاف لم يكن فى نظرهم إلا أنه كان مستورداً من الخارج ، دون أنه يعارض الشريعة الاسلامية ، و قام المغفور له قدرى باشا بتدوين قانون فى ضوء الفقه الحنفى رداً على الشيخ ميناوى ، و حاول إثبات أن الفقه الاسلامى لكفيل بحل جميع المشكلات العصرية وقضاء جميع مآرب المجتمع المستحدثة ، فلاحاجة إذن أن نركن إلى أى قانون أحسن و ننظر إليه نظر الغبطة و السرور .

و طفق العلماء فى مصر يستخدمون النزعة القومية لتائيد الشريعة الاسلامية ما يمكن تقديره بكتابات الشيخ محمد سليمان نائب القضاة للحكمة الشرعية العليا و الشيخ أحمد محمد شاكر و السيد محب الدين الخطيب و أمثالهم، تلك التى كتبوها بازاء القوانين الوضعية وتائيد القانون الاسلامى .

إنهم يستدلون فيها بأن القومية الخالصة تقتضى أن نعتبر الشريعة الاسلامية أساس التشريع ، وذلك لأن كل قانون غير القانون الاسلامى يعارض روح الدولة و الأمة ، إنما هى الشريعة الاسلامية التى حكمت بلادنا ثلاثة عشر قرناً .

و إنما هى الشريعة الاسلامية التى أبقت ولا تزال تبقى على كرامتنا القومية و لغتنا و حضارتنا ، و هى التى تحتوى على كنوز تحقق مطالب الحضارة الحاضرة و النهضات القومية ، و هى التى تستطيع أن تنقذنا من عبودية الغرب و تتيح لمصر فرصة زعامة الشرق كله ، و أهم من ذلك كله أنها هى المعول الوحيد لايجاد التعاون الحقيق و الانسجام الصحيح بين الجماهير والحكومة ، الذى لا ينجح بدونه أى تشريع فى العالم .

و يتأكد بهذه التفاصيل التى أسلفناها أن فكرة تدوين القانون ليست حدثاً اطلع عليه المسلمون فى الوقت الحاضر ، بل و قد سبقت فكرة المسلمين فى هذا المجال فكرة أوربا بقرون وأجيال ، فان أوربا لم تعرف هذه الفكرة إلا فى عهد نابليون ، أما فى الاسلام فقد نشأت فى عهد الامام مالك أيام خلافة أبى جعفر المنصور الذى عرضها على الامام مالك .

و ظلت هذه الفكرة تعمل عملها فى كل عهد من عهود التاريخ الاسلامى ، و التاريخ خير شاهد على أنها مثلت دوراً فى كل عصر ،

و الحقيقة أن مجال تدوين الفقه الاسلامى لايزال يتطلب جهوداً أكثر مما بذل حتى يتم ذلك فى أحسن شكل و أجمل طريق (١) .

يتضح بما أسلفنا من البحث أن الجهود التى بذلت فى مجال تدوين الفقه الاسلامى كلها تتسم بسمة واحدة ، و هى أن أساسها يقوم عـــلى الفقه الحنفى وحده فى معظم الأحوال ، و ذلك لأن الناس لما وجدوا الفقه الحنفى مدوناً أكثر من كل فقه اعتمدوا عليه وألبسوه لباس التنسيق الجديد حيناً و أدخلوا فيه بعض الزيادات والتحسينات حيناً آخر ، ولأن أكثر الأقطار و الدول التى تم فيها عمل التدوين عامة إنما كانت الطبقـة الحاكمة وأغلبية الجماهير فيها تتبع المذهب الحنفى ، و لكنى أعتقد أن عمل التدوين من جديد إنما يحتاج إلى الاعتماد على جميع المذاهب الفقهية المتبعة السائدة فى العالم الاسلامى ، و ذلك لكى يكون التشريع متبعاً مقبولا لدى الأمة الاسلامية جمعاء ، و يؤتى ثماره فى كل حين .

(١) يرجع تاريخ هذا المقال إلى ما قبـــل ٩ سنوات ، و قد برزت خلال هذه الفترة جهود عديدة فى العالم الاسلامى فى مجال تدوين الفقه الاسلامى ، و قامت اللجنة الشرعية فى ندوة العلماء بالهند منذ سنوات بالبحث فى المشكلات المستحدثة و الأحوال الحديثة و تطبيق الفقـــه الاسلامى عليها ، كما أعلنت وزارة الأوقاف فى الكويت حديثاً بوضع موسوعة الفقه الاسلامى باستعانة من كبار علماء الاسلام فى أنحاء العالم الاسلامى .

{المعرب}

• الأدب سلاح من صميم الحيـاة ، إنه يصور ما فى هذه الحياة من أفراح و أتراح و آلام و آحلام ، إنه يهز أوتار القلوب و يوقظ المؤهلات النائمـة و يلهب الجذوة الكامنة ، إنه يبنى و يهدم و يصلح و يفسد و يصدق و يكذب فليكن هذا السلاح فى أيدى المؤمنين الأبرار الأطهار أولى الأيدى والأبصار يضعونه فى خدمـــة الدعوة يلعب دوره العظيم بين الآداب الجاهلية الجنسية المحترفة التى طغت فى البلاد فاكثرت فيها الفساد .

فى رياض الشعر والأدب

بقلم

سليمان عليه السلام فى القرآن

الأستاذ الشهيد سيد قطب

إنها قصة سليمان مع بلقيس ، وكلاهما شخصية واضحة فيها : شخصية «الرجل» و شخصية «المرأة» ثم شخصية « الملك النبى » و شخصية « الملكة » فلننظر كيف يبرز أولئك جميعاً .

« و تفقد الطير ، فقال : ما لى لا أرى الهدهد ؟ أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنه عذاباً شديداً ، أو لأذبحنه ، أو ليأتينى بسلطان مبين »

فهذا هو المشهد الأول فيه « الملك الحازم » و « النبى العادل » و « الرجل الحكيم » إنه الملك يتفقد رعيته ، و إنه ليغضب لمخالفة النظام ، والتغيب بلا إذن ، ولكنه ليس سلطاناً جائراً ، فقد يكون للغائب عذره فان كان فبها ، و إلا فالفرصة لم تفت ، و ليعذبنه عذاباً شديداً أو ليذبحنه .

« فمكث غير بعيد ، فقال : أحطت بما لم تحط به ، و جئتك من سبأ بنبأ يقين : إنى وجدت امرأة تملكهم ، و أوتيت من كل شئ ، و لها عرش عظيم ، وجدتها و قومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل . فهم لا يهتدون ، ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات و الأرض ، و يعلم ما تخفون و ما تعلنون ، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم »

فهذا هو المشهد الثانى - عودة الغائب - و هو يعلم حزم الملك و شدة بطشه فهو يبدأ حديثه بمفاجأة يعدها للملك تبرر غيبته ، و افتتاحها يضمن إصغاء الملك إليه : « أحطت بما لم تحط به ، و جئتك من سبأ بنبأ يقين » فأى ملك لا يستمع ، و أحد رعيته الصغار يقول له : « أحطت بما لم تحط به ! » ثم ها هو ذا الغائب يعرض النبأ مفصلا ، و إنه ليحس إصغاء الملك له ، و اهتمامه بنبئه ، فهو يطنب فيه ، و هو يتفلسف ، فينكر على القوم : « ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض» و إنه حتى هذه اللحظة لفى موقف المذنب ، فالملك لم يزد عليه بعد، فهو يلمح بأن هناك إلهاً « هو رب العرش العظيم » ليطامن الملك من عظمته الانسانية ، أمام هذه العظمة الالهية !

« قال : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ، ثم تول عنهم ، فانظر ماذا يرجعون »

فهذا هو المشهد الثانى فى شطره الأخير ، فيه الحازم العادل، فالنبأ العظيم لم يستخف «الملك» و هذا العذر لمينه قضية الجندى المخالف للنظام و الفرصة مهيأة للتحقيق ، كما يصنع «النبى» العادل ، والرجل «الحكيم»

ثم ها نحن أولاء - النظارة - لا نعلم شيئاً مما فى الكتاب ، إن شيئاً منه لم يذع قبل وصوله إلى الملكة ! فاذا وصل فهى التى تذيعه . و يبدأ المشهد الثالث :

« قالت : يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا على و أتونى مسلمين » و ها هى ذى «الملكة» تطوى الكتاب ، و توجه إلى مستشاريها الحديث :

« قالت : يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون » .

وكعادة العسكريين فى كل زمان ومكان ، لابد أن يظهروا استعدادهم العسكرى فى كل لحظة و إلا أبطلوا وظيفتهم مع تفويض الأمر للرياسة العليا كما يقتضى النظام و الطاعة : « قالوا : نحن أولو قوة ، و أولو بأس شديد ، و الأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين »

و هنا تظهر «المرأة» من خلف « الملكة » المرأة التى تكره الحرب و التدمير ، و التى تنضى سلاح الحيلة والملاينة قبل سلاح القوة والمخاشنة و التى تتهيأ فى صميمها لمواجهة «الرجل» بغير العداء و الخصام !

« قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، و كذلك يفعلون ، و إنى مرسلة إليهم بهدية ، فناظرة بم يرجع المرسلون » !

و يسدل الستار هنا ، ليرفع هناك عند سليمان :

« فلما جاء سليمان قال : أتمدونن بمال ؟ فما آتانى الله خير مما آتاكم، بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، و لنخرجنهم منها أذلة و هم صاغرون »

و الآن لقد رد الرسل بهديتهم ، فلندعهم فى الطريق قافلين .

﴿يتبع﴾

سلوا السيوف وشدوا . . !

الأستاذ عبد العزيز عبد الفتاح

المدينة المنورة

حل الهوان بنا فى كل معترك ... وا خيبة الاسلام فى الأعوان

سلوا السيوف و شدوا لا أبالكم ... لا يرفع الطغيان بالخذلان

ما تعشق الرايات إلا (خالداً) ... رمز الجهاد و فارس الميدان

أو عزمة (الصديق) عند أوارها ... أو قوة (الفاروق) فى الايمان

أويسر (ذى النورين) عند رخائها ... أو (حيدر) الصمصام و البرهان

أهدى سلامى عاطراً لمقامهم ... و لكل من قد قام بالقرآن

يا نكبة الأمجاد و الأوطان ... يا شر مؤتمن على الأوطان

فى كل أرض ظالم أو خائن ... أو معتد بالسب و العدوان

و ثعالب (الثورات) زاد حماسها ... فى منبر التدجيل و البهتان

والجيش (جيش الزحف) بدأ زحفه ... ما بين راقصة و بين غوانى

وا خيبة الآمال إن كانت به ... تقضى، و إن يغدو العدو (يمانى)

أأصون سيفى عن (يهود) وأثنى ... أصلى به من كان من إخوانى

(صنعاء) ما للجد فى جنباتها أضحى أسير البغى و الطغيان
هل فارقت صنعاء بأس كماتها أم كذبت ما جاء فى القرآن
حتى نرى الكفر البواح بأرضها رفعوا له علماً على الكثبان

أ أبيع إسلامى بأخبث ملة حمراء قد بنيت على الكفران
و أبيع حب محمد و جنوده بالخبث من (لينين) أو (هامان)
أعقيدتى وعد التى و كرامتى ذلت و أضحى العز فى الصلبان

يا سوء ما نكبت به أوطاننا يا فرحة الشيطان بالشيطان
هل عودة لله ترفع ذلنا هل عودة للجد تلتقيان
يا أمة الاسلام دينك واحد فى الهند ، او فى مصر ، أو عمان

حل الهوان بنا فى كل معترك وا خيبة الاسلام فى الأعوان
سلوا السيوف وشدوا لا أبالكم لا يرفع الطغيان بالخذلان

رد على دعاية خائن

٥

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

وأخدانه السكهون من أجل خدعهم لطعمته قد داهنوه بمرسم
ولم يرحلوا حتى أرتأوا خير خطة لتجنيدهم من مالهم و التنظم
و تفريقهم مع خلق أكبر مشكل و بلبلة الأفكار و السفك للدم
ويشروا سلاحا منه يحموا نفوسهم و عند احتياج يختمون بما سمى
خطته فيها إراحة حاله و أكذوبة استقلالهم للذى عمى
ولم ينلوا استقلال من صوم كاذب بل الروس و الأمريك أكبر مدعم
و قد نال شر القتل من قومه فلم (تناطح به عنزان) يا مطلق الفم
و لو قتله من مسلمين لأجهزوا عليهم و أفنوهم فلم تتكلم
وأكذب شيئ قلته دون خجلة ودون احترام النفس (أهلا جهنم)
ولوذقت كيا عود كبريت لانبرى لسانك ينقض مبرما ساء مبرم
و ما أنت مأسوف عليك و إنما على أدعيا الاسلام أو عاد مسلم
جروا نحو ماسونية يجهلونها مخطط (صهيون) خفى مذمم

ة(رمسون)والاتباع من كل مغرض حشوا قلبه الخالى من الدين مذعمى
إذ الدين تعظيم الآله و حبه يعامله ذو الدين من كل مسلم
معاملة الأحباب من طوع أمره و شوق إلى لقياه فى نيل مغنم
فينصره فى بذل نفس و ماله لقمع عداه مع محبة مسلم
و بغض سواه إذ سواه بغيضه و ما الحب إلا هكذا حكمه نمى
فما الدين إلا ذا و عكس فضده طريقة شرك خطها شر مجرم
لذا أبغض الطاغوت من كل معشر لملة إبراهيم فى كل موسم
ليصرف شعباً لحوه و لحيه مسيرهم فيما يريد بمرسم
ينازع سلطان الاله بأرضه و مطلب عدل الله فيه بمحكم
و ما راج قول العلج إلا لجهلنا مقاصد دين الله صرنا كأبهم
تجيب لمن نادى و لا تفهم الندا إلى روضة أو مجزر شر معدم
و شبهة أذناب لهذا و معشر مقاومة استعمار خدعة موهم
و لم يطردوا المحتل دون جهودنا و من بعد ما نالوا المنى بالتقدم
غدوا شر شرير تجبر و اعتدى و زادوا بافساد و خبث مرجم
قوانينهم تحمى الزناة ديانة لذى الفسق والاعراض أرخص مغنم
مباحثهم عن الفسق و الخنا و لكنهم قد حللوا للحرم
تمادوا بابعاد الشريعة و اعتدوا بتحريف قول الله إيغال مغشم
فلم نر بعد الكفر إلا أشر من قوانينهم إذ هم أداة لمجرم
فقد نفذوا ما لم ينفذه كافر و زادوا بتضليل و إيهام مسلم
و قد حكم الله العظيم بفتنة أشد من القتل المثير المهجم
ففى فتنة التضليل قتل لروحنا و تحطيم كل المعنويات فأعلم

و كن حازما يأخذ بكل وقاية تقى بيته المغزو من كل مجرم
و كن عاملا جداً لاصلاح منهج يكيف تعليما بوحى معظم
تصفيه من أكدار (قس زويمر) و دنلوب و المصبوغ بالقبح و الدم
و لا تك من أحباب أية دولة تحبذ أفكار الشقى المذمم
فحب لغير الله شرك مقنع بشبهة أوطان و نفعية الدم
و تمحيصه لله ملة أحمد بحب الذى يمشى على دين مسلم
و بغض سواه من جميع معانذ و مبتعد عن شرعة الله قدعمى
و لا حظ سباباً هائلا يطلقونه على الكافر المستعمر المتلعثم
و طبق عليهم ضعفه حيث طبقوا تعاليه من ضعف و زور ومآثم
و ما آكل الأنجاس إلا منجس و لا يرتجى منه طهور لمسلم
و صلى إله العرش ربى مسلماً على المصطفى الهادى النبى المكرم
و آل له قد حققوا نهج سنة و حمل رسالات الاله المعظم

العالم الإسلامي

● العالم الاسلامى أسرة هذه الفئة المؤمنة المنتشرة فى الكرة الأرضية كلها وهبت نفسها لله وآمنت بوعده وصدقت بكلماته و وضعت مكاسبها و مواهبها و مؤهلاتها فى سبيل الدعوة ، فتلاشت لديها كل هذه الفروق والفواصل و الحدود والقيود والألوان والأوطان التى يتغنى بها أهل هذا الزمان ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين ، يلتقى فيها العربى مع الأخ الهندى والباكستانى والأفغانى والتركى والاندونيسى ، يشارك بعضه بعضاً فى آلامه ومسراته وشدته ورخائه ويشد أزر أخيه فى مشكلاته وأزماته امتثالا لأمر الله تعالى ، والمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

رسالة المجلس الاستشارى عقب الانتخابات

« أدلى سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ببيان عقب ظهور نتائج الانتخابات العامة التى جرت فى البلاد فى شهر فبراير الماضى ننشره معرباً و ملخصاً »

لقد كان من سعادة هذه البلاد و الحزب الحاكم فيها أن الرأى العام استعمل حقه فى الانتخابات الماضية بكل حرية ، و اختبره اختبار ممتحن أمين و تفقد صلاحية بقائه فى منصب الحكم من جميع النواحى ، و أنزله من منزلته العالية التى كان يتبؤها إلى منزلة سافلة بحيث إذا لم يستدرك هذه الهزيمة السافرة بحزم و عزم كتب له الحرمان من السلطة و ختم على مؤهلاته و كفاءاته ، و لن يعدو فى تاريخ الهند السياسى قصة كسائر القصص .

و مما يبعث على الأسى أن حزب المؤتمر الوطنى (الحزب الحاكم) لم يعد يملك له صديقاً مخلصاً. فانه لم يتمكن من اقناع أى طبقة طوال مدة حكمه، إنه اتبع فى البحث عن الحلول الأساسية للمشكلات سياسية المماطلة والتصغير من شأنها إنه لم يلق بالا إلى إقناع الأقليات و التفكير فى شكاويها حرصاً على السمعة الرخيصة و احراز إعجاب مؤقت من الناس. إنه ترك الجروح الضئيلة فى جسم الشعب لتتحول سرطاناً و ضحى بأصوله و مبادئه رغبة فى الحصول على الأصوات الكثيرة فى الانتخابات القادمة ، كما أنه لم يقبل أى مطالبة مهما كانت تافهة للأقلية المسلمة حذراً من سخط الأغلبية

و لكن بالرغم من ذلك كله فان حكم محكمة الانتخابات لم يكن فى حقه ، و إنما حرم نصف سلطة البلاد ، و انهزم فى المعركة ، و على ذلك فانه إذا لم يتنبه على مواضع ضعفه و لم يفكر فى إصلاح شأنه فسيواجه حرماناً كاملا من منصب الحكم فى هذه البلاد .

و تحمل الانتخابات ناحية مهمة تتصل بالمسلمين فى هذه البلاد ، فالكل يعلم أن المسلمين يشكلون أكبر أقلية فيها، إن عددهم لايقل عن ستين مليون نسمة كما صرح به عديد من مسؤلى الحكومة ، بل و قد يربو على ستين مليوناً ، و لكنهم عدا هذا العدد الوجيه الهائل يملكون أهمية كبرى فى خريطة البلاد العلمية و الثقافية والفكرية و العقلية والخلقية و فى مجال العلاقات الدولية ، إنهم يتمكنون من تمثيل دور مهم كبير فى إصلاح هذه البلاد و تقدمها و إنعاشها ، و هم يملكون قوة حاسمة فى كثير من المناسات و الفرص بتأييدهم أو مخالفتهم ، إنهم إذا اتبعوا خطة الاتحاد فى الأمور و استعملوا القوة الاجتماعية يستطيعون أن يرجحوا كفة الميزان على الأخرى ، كما يقدرون على خدمة البلاد الكبرى بقوتهم الاجتماعية ، و على إمساك أكبر سيل من الاضطرابات إذا شعروا بمسؤليتهم و استخدموا بصيرتهم السياسية .

لقد أثبت المسلمون فى الانتخابات أنهم يريدون استعمال حق التصويت والانتخاب بحرية دون أن يتقيدوا فيه بحزب أو جماعة ، يريدون أن يبدوا سخطهم أو رضاهم فى ضوء تجاربهم العملية كانسان يتمتع بالعقل و الغيرة ، و يريدون أن يحتفظوا بحقهم الانسانى و يستعملوه إذا دعت إليه الحاجة ، فان هذا العالم المادى يتطلب ذلك ، و كل أمة أو جماعة

تريد أن تعيش بكرامة يجب عليها أن يقدم دليل يقظتها وصلاحية تميزها بين الخير و الشر ، و النفع و الضرر حيناً بعد حين .

و بالرغم من أن المسلمين لم يسهموا فى الانتخابات وفق خطة مدروسة أو سياسة مقررة ، و لكنهم جعلوا القادة و الحكام يعترفون بقيمتهم ويشعرون بوزنهم السياسى أيضاً ، ولايتجرأ حزب من الأحزاب السياسية أن يصرف النظر عنهم .

و على أن المجلس الاستشارى الاسلامى لم يحظ بفرصة سانحة لنشر فكرته فى كل مكان ولم يكن يملك مالية كبيرة لتوسيع جهودها على أوسع نطاق شأن الأحزاب و الجماعات الأخرى . و لكنه رغماً من كل ذلك نجح فى خطته فى مجال الانتخابات فوق المتوقع ، حتى اضطرت الصحافة الانجليزية و الهندية إلى أن تحسب له حساباً كبيراً ، و تعترف بأهميته و قيمته ، و الحقيقة أن ذلك موضع استغراب و سرور عظيم ، نستطيع أن نقدر إذا ما كانت للمسلمين قيادة موثوق بها كم كان لها تأثير عميق فى أحزاب البلاد السياسية و تكوين المسلمين أمة ذات أهمية فى البلاد .

ولكى يعيش المسلمون فى البلاد بكرامة ويبقوا على شخصيتهم الاسلامية يحتاجون فى جملة مايحتاجون إلى صحافة انجليزية وأردية قوية مؤثرة والتنظيم الادارى ، و تربية العاملين فيه ، و بذل الجهود المخلصة فى سبيل تحقيق برامجه والتضحية بالنفوس والنفائس لنشر فكرته ، فان فعلوا ذلك يستقبلهم النجاح والظفر فى كل خطوة ، وتسنح لهم فرصة العيش كأمة ذات رسالة لها تاريخها المشرق الزاهر و ماضيها المجيد .

المسلمون فى الكونغو

تعمل الآن فى الكونغو ١٥ ألفاً من إرساليات التبشير من أمريكا و إيطاليا و بلجيكا و فرنسا ، و الدول الأوربية الأخرى ، وكانت النتيجة أن نصف سكان البلاد اعتنقوا المسيحية التى لم تدخر وسعاً فى القضاء على المسلمين هناك ، و لكن من معجزة الاسلام أنه لا يزال فى الكونغو ثمان مأة ألف مسلم (و عدد سكان البلاد ١٦ مليون نسمة) و لكنهم غير آمنين فى البلاد ، منعزلون عن المجتمع ، متأخرون تعليما ، مضطهدون ديناً ، ليس لهم مركز دينى ثقافى يجمعهم على كلمة واحدة ، و يبعث فيهم الحيوية و النشاط ، و يحفز هذا الجزء الخامد من الأمة ليساير الركب الاسلامى العالمى ، و المسلمون فى الكونغو لهم عدة طوائف :

١ - العرب الذين هاجروا من عمان و مسقط و زنجبار إلى الكونغو ، وعاشوا فيها ، أو أهالى البلد الذين أسلموا على أيديهم ، إن هؤلاء لا يتمسكون بالتقاليد المحلية ، ويتزيون بالأزياء العربية .

٢ - الطائفة الاسماعلية التى تنتمى إلى آغا خان .

٣ - الزنوج المسلمون و هم يدعون بـ (Wa Arabu) بجانب الصوماليين طوال القامة أزياؤهم إسلامية ، أكثرهم من أصحاب المتاجر .

المسلمون الآسيون (و معظمهم من رجال الطائفة الاسماعيلية) يقطنون فى الولاية الشمالية .

المسلمون عامة يسكنون فى الكونغو الشرقية ، بينما يوجد عدد قليل منهم فى إقليم (Maniema) والاسلام رفع بمستوى هؤلاء (Musenzi) خاصة يعنى أهل الغاباب .

إن هناك صراعا عنيفاً فى الكونغو بين المسيحية و الاسلام ، كل

منهما يريد الاستيلاء على سكان هذه المنطقة الهامة التى أصبحت ملتقى القوى السياسية منذ زمن .

فهل يفهم المسلمون واجبهم فى هذا الشأن . و هل تبذل الدول العربية بعض الجهود لانارة هذه القارة المظلمة التى تحن إلى النور والحق و الاسلام (١)

اعتقال مولانا أبى الاعلى المودودى

تلقت أسرة البعث الاسلامى نبأ اعتقال الشيخ أبى الأعلى المودودى و رفاقه فى الأيام الماضية بأسف بالغ و حزن مرير ، و عدت ذلك خطوة خطرة تهدد عمل الدعوة الاسلامية بالركود ، و عرقلة سيرها فى هذا الجزء الحساس من العالم الاسلامى .

إننا لا ندرى لأى جريمة خطت الحكومة الباكستانية هذه الخطوة ، و ما هو السبب فى زج هؤلاء الدعاة فى المعتقلات سوى أنهم صرحوا بالحق فى أمر رؤية الهلال و جهروا به و لكن لم يكن يدعو ذلك إلى هذا الأقدام الجريئ ، الذى لا يزيد إلى سمعة هذه الدولة المسلمة إلا سوءاً و لا يضيف إلى قائمة أعمالها إلا سواداً .

و قد أفادت المصادر العليمة أن العالم الاسلامى واجه هذا النبأ باستنكار و استياء عظيمين . و لم تر الطبقات الدينية إلى ذلك إلا نتيجة تعسف و إرهاق ، و هى تحذر من أن يكون مصدر هذه الخطوة خطة مدبرة مرسومة تكون مضمرة لنوايا غير صالحة فى صالح الاسلام والمسلمين.

ونحن إذ ننشر هذا النبأ بغاية تألم وأسف نناشد الحكومة الباكستانية أن تعيد النظر فى هذه القضية و تفرج عن العلماء فى باكستان و تمنحهم

(1) Pakistan April — 17 1965.

حرية كاملة فى الأمور الشرعية لكى لا يضيق الخناق عـلى الشعب المسلم هناك ، و يعيش الناس فى ظل الاسلام بهدوء و طمأنينة .

وفاة أمير حيدرآباد

توفى فى أواخر شهر فبراير أمير الولاية الحيدرآبادية السابقة ، وهو نواب مير عثمان على خان ، وخلفه نجله نواب مكرم جاه واستحق جميع الألقاب التى كان والده الأمير السابق يتمتع بها قبل وفاته .

لقد كان الأمير الراحل من أعظم الشخصيات و أبرزها فى العالم لما كان يملك من ثروة مالية كبيرة تحت ملكيته الشخصية ، وهى التى جعلته فى الفترة الأخيرة من أغنياء العـالم المعدودين كما أن الأمير الراحل كان من أجل الشخصيات المالكة فى العالم الاسلامى ، لأن إمارته التى كان يشرف عليها قبل أن تنتهى هذه الامارة وتندمج فى ولايات الهند الأخرى كانت أكبر معاون لكثير من مشروعات المسلمين الكبيرة فى الهند ، ولكن هذه الامارة الاسلامية الكبيرة لما انتهت وقضى عليها بعد تحرر الهند انقطعت هذه الاعانات الكثيرة .

وهو و إن كان قد أصبح فيمابعد غير قادر على إبقاء هذه الاعانات و أصيب بخمول و جحود لأسباب سياسية كثيرة ولكن ذكراه ستبقى فى قلوب المسلمين فى الهند ، غفر الله له و أحسن مثواه .